

من رسائل شيخ الإسلام
(٥)

حكم أسلع

عنده

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

تحقيق

حمد لله

رَاجِعَة

الدكتور محمد عويسية

مكتبة المغار

الأودن - التزرقا

مِنْ الْبَعْدِ مُخْرَجُ الْكِتَابِ الْمَذَارِ

الطبعة الأولى

١٤٠٨ - ١٩٨٨ مـ

مكتبة المصادر
شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي
هاتف ٩٨٣٦٥٩ ص.ب ٨٤٢ الزرقاء - الأردن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَاحْبِهِ الْغَرِّ الْمَيَامِينَ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ مَوْضِعَ «السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ» جَدِيرٌ بِالقراءةِ وَالتَّدْبِيرِ ؛ لِمَعْرِفَةِ حُكْمِ الإِسْلَامِ فِيهِ ، لِلتَّبَاسِ هَذَا الْأَمْرُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ ، وَلِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النُّفُوسِ قَدْ فُتِّنَتْ بِأَنْوَاعِ مَحْرَمَةِ السَّمَاعِ وَالرَّقْصِ ، وَاسْتَساغَتْ بِذَلِكَ الْآثَامُ وَالْمَعَاصِي ، غَيْرَ عَابِثَةٍ بِأَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ مَوْعِظَةٍ ، فَابْتَعَدَتْ بِذَلِكَ عَنِ النَّهَجِ الْقَوِيمِ وَالطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَمِنْ هَذَا الْمَنْطَلِقِ فَقَدْ اخْتَرْنَا هَذِهِ الرِّسَالَةَ لِشِيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تِيمِيَّةِ رَحْمَهُ اللَّهُ ؛ لِمَا تَضَمِّنَتْ مِنْ مَوْضِعَاتٍ مُهِمَّةٍ كَصْفِيَّةِ سَمَاعِ الصَّالِحِينَ وَأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ وَاجْتِمَاعِ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ عَلَيْهِ ، وَالْأَثَارِ الْمُخْتَلِفَةِ لِهَذَا السَّمَاعِ الصَّالِحِ سَوَاءً كَانَتْ إِيمَانِيَّةً أَوْ جَسَدِيَّةً ، وَأَرَاءَ بَعْضِ الْأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ فِي السَّمَاعِ . وَبِيَانِ السَّمَاعِ الْمُشْرُوعِ وَالْمُمْنَوعِ ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْأَضَارِرِ الْعَظِيمَةِ وَالْمَفَاسِدِ الْجَسِيمَةِ وَالْأَثَارِ السَّيِّئَةِ الَّتِي يَجْلِبُهَا السَّمَاعُ الْمُحْرَمُ ، وَخَطَاطًا مَنْ اتَّخَذَهُ طَرِيقَةً مِنْ طُرُقِ الْعِبَادَةِ ، أَوْ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ الدُّعَوةِ وَهُدَايَةِ النَّاسِ ، وَتَحْدِيثِ شِيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تِيمِيَّةِ كَذَلِكَ عَنْ حُكْمِ الرَّقْصِ بِإِيْجَازٍ ، مُؤْكِدًا أَنَّهُ يَجُبُ عِبَادَةُ اللَّهِ بِمَا شَرَعَ وَالْأَعْتَصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَتَرْكُ الْبَدْعِ الْمُحَدَّثَةِ ، وَتَمْيِيزُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ

من الضعيفة وغير ذلك من الموضوعات التي سيلمسها القارئ الكريم .

وهذه الرسالة مختارة من مجموع الفتاوى لابن تيمية المطبوع بالمملكة العربية السعودية وهي مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، وقد كان عملي فيها كما يلي :

- ١ - الترجمة المختصرة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .
 - ٢ - تخريج الآيات القرآنية الكريمة .
 - ٣ - تخريج الأحاديث النبوية الشريفة .
 - ٤ - شرح المفردات الغربية .
 - ٥ - الترجمة لكثير من الأعلام الوارد ذكرهم .
 - ٦ - وضع عناوين داخلية وتصحيح الأخطاء والتصحيفات من الأصول والمراجع .
 - ٧ - وضع فهارس للآيات والأحاديث والمصادر والمراجع والمواضيع .
- واسأل الله تبارك وتعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يؤتي ثماره الطيبة إن شاء الله إنه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حمد سلامة

ترجمة ابن تيمية^(١)

هو تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية ، الحراني ، نزيل دمشق ، الإمام ، شيخ الإسلام ولد بحران يوم الإثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، وقدم به والده إلى دمشق فنبع واشتهر ، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصدتها فتحامل عليه جماعة من أهلها فسجن مدة ونقل إلى الإسكندرية . ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ هـ وأطلق ، ثم أعيد ، ومات معتقلًا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ ، فخرجت دمشق كلها في جنازته . كان كثير البحث في فنون الحكمة ، داعية إصلاح في الدين . آية في التفسير والأصول ، فصيح اللسان ، قلمه ولسانه متقاربان ، له تصانيف كثيرة منها : « الجواعيم » في السياسة الإلهية والأيات النبوية ويسمى « السياسة الشرعية » و « الفتاوى »

(١) انظر ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية في : الأعلام لخير الدين الزركلي ج ١ ص ١٤٤ ، مختصر طبقات الحنابلة ص ٦١ ، الدرر الكامنة لأحمد بن حجر العسقلاني ج ١ ص ١٥٤ ، فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتباني ج ١ ص ٧٤ ، طبقات الحفاظ للسيوطى ص ٥٢٠ ، البدر الطالع للشوكانى ج ١ ص ٦٣ ، البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١٣٥ ، شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ج ٦ ص ٨٠ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ١ ص ٢٦١ ، العبر للذهبي ج ٤ ص ٨٤ تذكرة الحفاظ للذهبي ١٤٩٦ / ٤ وغيرها.

خمسة مجلدات و « الإيمان » و « الجمع بين النقل والعقل » و « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » و « الواسطة بين الحق والخلق » و « الصارم المسلح على شاتم الرسول ». و « مجموع الفتاوى » وغيرها.

وقد تقدمت له ترجمة وافية في الرسالة المسمى « التحفة العراقية في الأعمال القلبية » .

[صفة سماع الصالحين :]

ما تقول السادة الأعلام أئمة الإسلام، ورثة الأنبياء عليهم السلام - رضي الله عنهم. وأراضهم، في صفة «سماع الصالحين» ما هو؟ وهل سماع القصائد الملحة بالآلات المطربة هو من القرب والطاعات. أم لا؟ وهل هو مباح، أم لا؟

فأجاب: شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية - رضي الله عنه -
الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أصل هذه «المسألة» أن يفرق بين السماع الذي يتتفق به في الدين. وبين ما يُؤخص فيه رفعاً للحرج، بين سماع المتقربين، وبين سماع المتابعين^(١).

فأما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وتابعهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم، وزكاة نفوسهم - فهو سماع آيات الله تعالى. وهو سماع النبيين والمؤمنين. وأهل العلم. وأهل المعرفة.

قال الله تعالى. لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله: « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم، ومن حملنا مع نوح، ومن ذرية إبراهيم

(١) نسخة المتقدمين بدل المتقربين والمتاخرين بدل المتابعين. (من هامش مجموع الفتاوى ١١ / ٥٥٧).

وإسرائيل . ومن هدينا واجتبينا ، إذا تلئ عليهم آياتُ الرحمن خَرُوا سجداً وبكياً^(١) . وقال : « إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلتْ قلوبُهُم . وإذا تُلِيتْ عليهم آياتُه زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون »^(٢) . وقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ : سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لِمَفْعُولًا . وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خَشْوَاعًا »^(٣) . وقال تعالى : « وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيَّ الرَّسُولَ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ »^(٤) .

[أمرُ الله تعالى بهذا السِّمَاع] :

وبهذا السِّمَاع أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لِعُلُوكُمْ تُرْحَمُونَ »^(٥) وَعَلَى أَهْلِهِ أُثْنَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَبَشِّرْ عَبْدِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعَّونَ أَحْسَنَهُ »^(٦) . وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : « أَفَلَمْ يَدَبِّرُوا الْقَوْلُ ؟ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولَى ؟ »^(٧) فَالْقَوْلُ الَّذِي أَمْرُوا بِتَدْبِيرِهِ هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي أَمْرُوا بِاسْتِمَاعِهِ . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَا »^(٨) . وَقَالَ تَعَالَى : « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ بِارْكٌ لِيَدَبِّرُوا آيَاتِهِ »^(٩) .

(١) الآية ٥٨ من سورة مريم.

(٢) الآية ٢ من سورة الأنفال.

(٣) الآيات ١٠٧ - ١٠٩ من سورة الإسراء.

(٤) الآية ٨٣ من سورة المائدة.

(٥) الآية ٢٠٤ من سورة الأعراف.

(٦) الآيات ١٧ - ١٨ من سورة الزمر.

(٧) الآية ٦٨ من سورة المؤمنون.

(٨) الآية ٢٤ من سورة محمد.

(٩) الآية ٢٩ من سورة ص.

[ذم المعرضين عن السماع المشروع:]

وكما أثني على هذا السماع، ذم المعرضين عن هذا السماع، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكِبْرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا . كَانَ فِي أَذْنِيهِ وَقْرًا ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ وَالْغُوا فِيهِ لِعْلَكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنْ قَوْمٍ اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا . وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكُفَّيْ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكُّرِ مُعْرِضُينَ ، كَأَنَّهُمْ حَمَرٌ مُّسْتَنْفَرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قُسْوَةِ ﴾^(٤) . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْيَنَّهُ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرًا وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ ﴾^(٥) . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مُّسْتَوْرًا ، وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكْيَنَّهُ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾^(٦) .

وهذا هو السماع الذي شرعه الله لعباده في صلاة الفجر، والعشائين وغير ذلك.

[اجتماع الرسول وصحابته على السماع المشروع:]

وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون، وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقيون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى^(٧) : يا أبا موسى ؛ ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم

(١) الآية ٧ من سورة لقمان.

(٢) الآية ٢٦ من سورة فصلت.

(٣) الآيات ٣٠ - ٣١ من سورة الفرقان.

(٤) الآيات ٤٩ - ٥١ من سورة المدثر.

(٥) الآية ٥ من سورة فصلت.

(٦) الآيات ٤٥ - ٤٦ من سورة الإسراء.

(٧) هو أبو موسى الأشعري، قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عتز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعري، صحابي مشهور، أمّة عمر ثم =

يسمعون^(١) وهذا هو السماع الذي كان النبي ﷺ يشهده مع أصحابه، ويستدعيه منهم، كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: «قال النبي ﷺ : إقرأ على القرآن، قلت: أقرأه عليكَ وعليكَ أُنزل؟! فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية. ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَنَّا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بَشِهِدٌ. وَجَئْنَا بِكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٢) قال: حسبك، فنظرت فإذا عيناه تذرفان»^(٣) وهذا هو الذي كان النبي ﷺ يسمعه هو وأصحابه. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤) و«الحكمة» هي السنة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ أَتَلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ. وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذَرِينَ﴾^(٥) وكذلك غيره من الرسل. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦).

= عثمان وهو أحد الحكماء بصفتين مات سنة خمسين وقيل بعدها (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٣٦٢).

(١) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ٢٥٨.

(٢) الآية ٤١ من سورة النساء.

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب البكاء عند قراءة القرآن انظر فتح الباري ج ٩ ص ٩٨، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدرج ١ ص ٥٥١، وأبو داود في كتاب العلم باب في القصص ج ٤ ص ٧٤، والترمذمي في كتاب تفسير القرآن باب من سورة النساء ج ٥ ص ٢٣٨.

(٤) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.

(٥) الآيات ٩١ - ٩٢ من سورة النمل.

(٦) الآية ٣٥ من سورة الأعراف.

وبذلك يحتاج عليهم يوم القيمة. كما قال تعالى: ﴿يَا مَعْشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَ أَلْمَ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يُقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيَنذِرُونَكُمْ لَقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا؟ قَالُوا: شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الظَّنِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمْ زُمْرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ فَتَبَعَتْ أَبْوَابُهُ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا: أَلْمَ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيَنذِرُونَكُمْ لَقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا. قَالُوا: بَلِي. وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلْمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

[سماع الصالحين سبيل الهدایة:]

وقد أخبر أن المعتصم بهذا السماع مهتدٌ مفلحٌ. والمعرض عنه ضالٌّ شقيٌّ. قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِنَّكُمْ مِّنْنِي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يُضْلَلُ وَلَا يُشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾^(٣) وتحشره يوم القيمة أعمىٌ. قال رب لم حشرتني أعمىٌ وقد كنت بصيراً؟ قال كذلك أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم ننسى﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِيبٌ﴾^(٥).

و«ذكر الله» يراد به تارة: ذكر العبد ربِّه. ويراد به الذكر الذي أنزله الله. كما قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذَكْرٌ مَبَارِكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(٦). وقال نوح: ﴿أَوْ عَجِبْتُ أَنْ جَاءَكُمْ ذَكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيَنذِرَكُمْ﴾^(٧) وقال: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا

(١) الآية ١٣٠ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٧١ من سورة الزمر.

(٣) الضنك: هو كل ما ضاق ومعيشة ضنك أي ضيق شديدة (لسان العرب لابن منظور ٤٦٢/١٠).

(٤) الآيات ١٢٤ - ١٢٦ من سورة طه.

(٥) الآية ٣٦ من سورة الزخرف.

(٦) الآية ٥٠ من سورة الأنبياء.

(٧) الآية ٦٣ والآية ٦٩ من سورة الأعراف.

الذِّي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكُ لِمُجْنَنٌ ﴿١﴾ . وَقَالَ: ﴿مَا يُأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنْ رَبِّهِمْ مُّحَدِّثٌ إِلَّا اسْتَمْعُوهُ﴾ ﴿٢﴾ . وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لِذِكْرٍ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ ﴿٣﴾ . وَقَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ . لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ ﴿٤﴾ وَقَالَ: ﴿وَمَا عَلِمْنَا شِعْرًا وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥﴾ .

[الأثار الإيمانية للسماع الصالح:]

وهذا «السماع» له آثار إيمانية من المعارف القدسية. والأحوال الزكية، يطول شرحها ووصفها. وله في الجسد آثاراً محمودةً من خشوع القلب ودموع العين. واقشعرار الجلد. وهذا مذكورٌ في القرآن. وهذه الصفات موجودة في الصحابة. ووجدت بعدهم آثار ثلاثة: الاضطراب. والصراخ. والإغماء. والموت في التابعين.

و«بالجملة» فهذا السمع هو أصل الإيمان: فإن الله بعث محمداً ﷺ إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم، فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح، ومن أعرض عن ذلك ضلل وشقى.

[سماع المكاء والتصدية:]

وأما «سماع المكاء والتصدية» وهو التصديق بالأيدي، والمكاء مثل الصفير ونحوه، فهذا هو سمع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ ﴿٦﴾ فأخبر عن المشركين أنهم كانوا

(١) الآية ٦ من سورة الحجر.

(٢) الآية ٢ من سورة الأنبياء.

(٣) الآية ٤٤ من سورة الزخرف.

(٤) الآيات ٢٧ - ٢٨ من سورة التكوير.

(٥) الآية ٦٩ من سورة يس.

(٦) الآية ٣٥ من سورة الأنفال.

يتخذون التصديق باليد . والتصويت بالفم قربة وديناً . ولم يكن النبي - ﷺ - وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع . ولا حضروه قط . ومن قال إن النبي ﷺ حضر ذلك فقد كذب عليه ، باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته . وال الحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي^(١) في «مسألة السماع» و «في صفة التصوف» ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهوروبي^(٢) صاحب عوارف المعارف «أن النبي ﷺ أنسده أغرابي :

قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا رافق
إلا الحبيب الذى شغفت به فعنده رقيتي وترافقى
وأنه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه ، فقال له معاوية : ما أحسن لھوکم !
فقال له : مھلأا يا معاوية ! ليس بكریم من لم يتواجد عند ذکر الحبیب»^(٣) فهو حدیث
مکذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن .

(١) هو محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي ، الحافظ المعروف بابن القيسراني ، المقدسي الشيباني أبو الفضل رحالة ، مؤرخ من حفاظ الحديث ، ولد في بيت المقدس سنة ٤٤٨ هـ وتوفي سنة ٥٠٧ هـ ببغداد ، له تصانيف كثيرة منها صفة التصوف وتذكرة الموضوعات وأطراف الكتب الستة وغيرها . (انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلkan ج ٤ ص ٢٨٧ ، والأعلام لخير الدين الزركلي ج ٦ ص ١٧١).

(٢) هو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهوروبي ، اختلف في اسمه فقيل اسمه أحمد وقيل اسمه عمر وقيل كنيته اسمه ، ولد في سهورو ، ونشأ بمراوة وسافر إلى حلب ، فنسب إلى انحلال العقيدة ، وكان علمه أكثر من عقله ، قتل سنة ٥٨٧ هـ ، من كتبه التلبيحات ، وهيأكل النور والتتفريحات وغيرها . (انظر ترجمته في وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٦٨ والأعلام ج ٨ ص ١٤٠).

(٣) انظر الحديث في : تنزيل الشريعة ج ٢ ص ٢٣٣ ، وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للالبانی ج ٢ ص ٣٤ ، وميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ١٦٤ ، قال أبو الفرج المقدسي وقد سئل عن هذا الحديث ما ملخصه : «إن الواقع عليه يظهر له أنه موضوع لركة ألفاظه ومبانة شعره لأشعار العرب» (تنزيل الشريعة ٢/٢٣٣) وكتبشيخ الإسلام النووي وقد سئل عنه : باطل لا تخل روایته ولا نسبته للنبي ﷺ . وقد قال صاحب =

وأظهر منه كذبًا حديث آخر يذكرون فيه: أنه لما بُشِّرَ الفقراء بسبعين الأغنياء إلى الجنة تواجدوا . وخرقوا ثيابهم ، وأن جبرائيل نزل من السماء فقال: يا محمد! إن ربكم يطلب نصبيه من هذه الخرق . فأخذ منها خرقة فعلقها بالعرش ، وأن ذلك هو زيق^(١) الفقراء^(٢) . وهذا وأمثاله إنما يرويه من هو من أجهل الناس بحال النبي ﷺ ، وأصحابه ومن بعدهم . ومعرفة الإسلام والإيمان .

وهو يشبه رواية من روى: «أنَّ أَهْلَ الصُّفَّةِ»^(٣) قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم حنين ، أو غير يوم حنين ، وأنهم قالوا نحن مع الله ، من كان الله معه كنا معه^(٤) ، ومن روى: «أن صبيحة المراج وجد أهل الصفة يتحدثون عوارف المعرف» ويختالج سري أنه غير صحيح ولم أجده في ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث ويأتي القلب قبوله والله أعلم بذلك عوارف المعرف للسهروري ص ٢٠٥ وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣ / ١٦٤ في ترجمته لعمار بن إسحاق: «كانه واضح هذه الخرافات التي فيها قد لسعت حية الهوى كبدى ، فإن الباقين ثقات». وانظر التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزرκشي ص ٢١٣ وقال السيوطي في الدرر المنتشرة ص ١٩٧: أخرجه الديلمي من حديث أنس وقال: تفرد به أبو بكر عمار بن إسحاق.

(١) والزَّيْقَنُ مَا كُفَّ مِنْ جَانِبِ الْجَيْبِ وَزَيْنَ الْقَمِيصِ مَا أَحَاطَ بِالْعَنْقِ، وَتَرَيَقَتِ الْمَرْأَةُ تَرِيقًا إِذَا تَرَيَنَتْ وَتَلَبَّسَتْ وَأَكْتَحَلتْ (لسان العرب ١٠ / ١٥٠).

(٢) حديث تبشير الرسول ﷺ للفقراء بسبعين الأغنياء إلى الجنة رواه الترمذى في كتاب الزهد ج ٤ ص ٧٥ ، وابن ماجة في كتاب الزهد بباب منزلة الفقراء ج ٢ ص ١٣٨٠ وأورده الهيثمى في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٥٩ وال亨دى في كنز العمال ج ٦ ص ٤٧٥ وأول الحديث: (يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم) أما تواجد الفقراء وخرقهم الثياب ونزول جبرائيل . الخ فقد قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٥٩ «كذب مخالق أهل الاتفاق من أهل العلم والإيمان لا ينazuء في ذلك ألا جاھل» .

(٣) أَهْلَ الصُّفَّةِ هُمْ زَهَادُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ زَهَدَ مِنَ الصَّحَّابَةِ فَقَرَاءُ غَرَبَاءِ، وَكَانُوا سَبْعِينَ وَيَقْلُونَ حِينَأَ وَيُسْكَنُونَ صُفَّةَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ مَوْضِعُ مَظَلَّلٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُمْ لَا مَسْكُنَ لَهُمْ وَلَا مَالَ وَلَا ولد . (من هامش الفتح الرباني ١٩ / ١١٥).

(٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٤٧ فما بعدها .

بسر كان الله أمر نبيه أن يكتمه، فقال لهم: من أين لكم هذا؟ قالوا: الله علمنا إِيَّاهُ، فقال: يا رب! ألم تأمرني ألا أفشيه؟ فقال: أمرتك أنت ألا تفشيه، ولكنني أنا أخبرتهم به^(١) ونحو هذه الأحاديث التي يرويها طوائف متسبون إلى الدين، مع فرط جهلهم بدين الإسلام، فيبنون عليها من النفاق والبدع ما يناسبها. تارة يسقطون التوسط بالرسول وأنهم يصلون إلى الله تعالى من غير طريق الرسل مطلقاً. فهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى: فإن أولئك أسقطوا وساطة رسول واحد، ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقاً.

وهؤلاء إذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً عن أنفسهم، كان هذا أغلظ من كفر أولئك: لكنهم يقولون: لا تسقط الوساطة إلا عن الخاصة، لا عن العامة، فيكونون أكفر من أهل الكتاب من جهة إسقاط السفارة مطلقاً، بل أهل الكتاب الذين يقولون إنه رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء. فإن أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب. وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لا يبقى معه إلا خيالات ووساوس وظنون ألقاها إليه الشيطان، مع ظنه أنه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله، وتارة يجعلون هذه الآثار المختلفة حجة فيما يفترونه من أمور تخالف دين الإسلام، ويَدْعُونَ أنها من أسرار الخواص، كما يفعل الملاحدة والقرامطة والباطنية، وتارة يجعلونها حججاً في الإعراض عن كتاب الله وسنة نبيه إلى ما ابتدعوه من اتخاذ دينهم لهواً ولعباً.

[صور الاستماع الممنوعة والمشروعة]

وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُشْرِعْ لصالحي أمته وعَبَادِهِمْ وَزَهَادِهِمْ أَنْ يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة. مع

(١) انظر الكلام على هذا الحديث في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ١١ ص ٥٤ حيث قال عن الحديث: «كذب واضح» فإن أهل الصفة، لم يكونوا إلا بالمدينة ولم يكن بمكة أهل صفة، والمعراج إنما كان من مكة كما قال سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) ولم اعثر على الحديث فيما بين يدي من مصادر بعد البحث.

ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب. أو الدف. كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته، وأتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة، لا في باطن الأمر، ولا في ظاهره، ولا لعامي ولا لخاصي، ولكن رَحْصَ النَّبِيُّ ﷺ في أنواع من اللهو في العرس ونحوه، كما رخص للنساء أن يَضْرِبَنَ بالدُّفٍ^(١) في الأعراس، والأفراح. وأمّا الرجال على عهده فلم يكن أحدُّ منهم يضرب بدب، ولا يصفق بكف، بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «التصفيق للنساء والتسبيح للرجال»^(٢). «ولعن المتشبهات من النساء بالرجال. والمتشبهين من الرجال بالنساء»^(٣).

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء. كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مختنًا. ويسمون الرجال المغنين مخانيث، وهذا مشهور في كلامهم.

ومن هذا الباب حديث عائشة رضي الله عنها لما دخل عليها أبوها - رضي

(١) الدُّفُّ والدُّفُّ: الذي يضرب به النساء. وفي المحكم الذي يُضرب به والجمع دُفُوف. (انظر لسان العرب ج ٩ ص ١٠٦).

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب العمل في الصلاة باب التصفيق للنساء ج ٢ ص ٧٧، ومسلم في كتاب الصلاة باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا نابهما شيء في الصلاة ج ١ ص ٣١٨، وأبو داود في كتاب الصلاة باب التصفيق في الصلاة ج ١ ص ٥٧٨، والترمذني في أبواب الصلاة باب ما جاء أن التسبيح للرجال والتصفيق للنساء ج ٢ ص ٢٠٥ وقال حديث حسن صحيح، والنسائي في كتاب السهو بباب التصفيق في الصلاة ج ٣ ص ١١، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة باب التسبيع للرجال والتصفيق للنساء ج ١ ص ٣٢٩ والدارمي ج ١ ص ٣١٧، وأحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٦١.

(٣) رواه البخاري في كتاب اللباس بباب المتشبهن بالمتشبهات بالنساء ج ١ ص ٣٣٢، وأبو داود في كتاب اللباس باب في لباس النساء ج ٤ ص ٣٥٥، والترمذني في كتاب الأدب بباب ما جاء في المتشبهات بالرجال من النساء ج ٥ ص ١٠٦ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» وابن ماجة في كتاب النكاح باب في المختتين ج ١ ص ٦١٤، وأحمد في مسنده ج ١ ص ٣٣٩.

الله عنه - في أيام العيد، وعندما جاريتان من الأنصار تغnyان بما تقاولت^(١) به الأنصار يوم بعاث^(٢). فقال أبو بكر رضي الله عنه: «أبمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وكان رسول الله ﷺ معرضاً بوجهه عنهم، مقبلاً بوجهه الكريم إلى الحائط. فقال: دعهما يا أبا بكر! فإن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا أهل الإسلام»^(٣) ففي هذا الحديث بيان: أن هذا لم يكن من عادة النبي ﷺ وأصحابه الاجتماع عليه، ولهذا سمّاه الصّدِيقُ، مزمار الشيطان، والنبي ﷺ أقرَّ الجواري عليه مُعَلَّلاً ذلك بأنَّه يوم عيد، والصغار يُرْخصُ لهم في اللعب في الأعياد، كما جاء في الحديث «لعلم المشركون أن في ديننا فسحة»^(٤) وكان لعائشة لعب تلعب بهن ويجهن صواحباتها من صغار النساء يلعبن معها. وليس في حديث العجراطيين أنَّ النبي ﷺ استمع إلى ذلك. والأمرُ والنهيُ إنما يتعلق بالاستماع: لا بمجرد السمع. كما في الرؤية فإنه إنما يتعلق بقصد الرؤية. لا بما يحصل منها بغير اختيار.

وكذلك في اشتمام الطيب إنما ينهي المحرم عن قصد الشم، فأما إذا شم ما لم يقصده فإنه لا شيء عليه. وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس الخمس: من السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. إنما يتعلق الأمر والنهي من ذلك بما للعبد فيه قصد وعمل، وأما ما يحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهي.

وهذا مما وجَّه به الحديث الذي في السنن عن ابن عمر «أنه كان مع

(١) تقاولت: معناه بما خاطب بعضهم بعضاً في الحرب من الأشعار.

(٢) هو يوم من أيام العرب في الجاهلية وقعت فيه الحرب بين الأوس والخزرج وكان الظهور فيه للأوس (انظر أيام العرب في الجاهلية ص ٧٣).

(٣) الحديث رواه مسلم في كتاب صلة العيدين بباب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ج ٢ ص ٦٠٧، وابن ماجة في كتاب النكاح بباب الغناء والدف ج ١ ص ٦١٢.

(٤) رواه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٢٣٣ ولوفظه (لتعلم يهود أن في ديننا فسحة).

النبي ﷺ فسمع صوت زمارة راعٍ ، فعدل عن الطريق ، وقال : هل تسمع ؟ هل تسمع ؟ حتى انقطع الصوت»^(١) .

فإن من الناس من يقول : بتقدير صحة هذا الحديث ، لم يأمر ابن عمر بسد أذنيه . فيحجب بأنه كان صغيراً ، أو يحجب بأنه لم يكن يستمع ، وإنما كان يسمع . وهذا لا إثم فيه . وإنما النبي ﷺ فعل ذلك طلباً للأفضل والأكمل ، كمن اجتاز بطريق فسمع قوماً يتكلمون بكلام مُحرّم فسَدَ أذنيه كيلاً يسمعه ، فهذا حسن ، ولو لم يسد أذنيه لم يأثم بذلك . اللهم إلا أن يكون في سمعه ضرر ديني لا يندفع إلا بالسد .

[هل يُتحذّل السمع طريقاً إلى الله؟]

و «بالجملة» فهذه (مسألة السمع) تكلم كثير من المتأخرین في السمع : هل هو محظوظ؟ أو مكروه؟ أو مباح؟ وليس المقصود بذلك مجرد رفع الحرج ، بل مقصودهم بذلك أن يتخد طریقاً إلى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصلاح القلوب ، والتشويق إلى المحبوب ، والتخييف من المرهوب ، والتحزير على فوات المطلوب ، فتُستنزل به الرحمة ، وتُستجلب به النعمة ، وتُتحرک به مواجهات أهل الإيمان ، وتنتجلي به مشاهد أهل العرفان ، حتى يقول بعضهم : إنه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه؛ حتى يجعلونه قوتاً للقلوب ، وغذاء للأرواح ، وحادياً^(٢) للنفوس ، يحدوها إلى السير إلى الله ، ويحثها على الإقبال عليه .

ولهذا يوجد من اعتاده ، واغتنى به لا يحن إلى القرآن ولا يفرح به . ولا

(١) رواه : أحمد في مستنه ج ٢ ص ٨ مع اختلاف يسير في اللفظ ، ورواه أبو داود في كتاب الأدب باب كراهة الغناء والزمر ج ٥ ص ٢٢٢ ، قال أبو علي اللؤلؤي سمعت أبي داود يقول : هذا حديث منكر انظر سنن أبي داود ج ٥ ص ٢٢٢ ومختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ج ٧ ص ٢٣٨ .

(٢) حادياً : سائقاً . (لسان العرب لابن منظور ج ١٤ ص ١٦٨) .

يجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الأبيات؛ بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوبٍ لاهية، وألسن لاغية، وإذا سمعوا سماع المكاء والتصدية^(١) خشعت الأصوات، وسكنت الحركات، وأصفت القلوب، وتعاطت المشروب^(٢).

فمن تكلم في هذا: هل هو مكرورة، أو مباح؟ وشبهه بما كان النساء يُغنين به في الأعياد والأفراح، لم يكن قد اهتدى إلى الفرق بين طريق أهل الخسارة، والفلاح، ومن تكلم في هذا: هل هو من الدين؟ ومن سماع المتقين؟ ومن أحوال المقربين؟ والمقتصدين؟ ومن أعمال أهل اليقين؟ ومن طريق المحبين المحبوبين؟ ومن أفعال السالكين. إلى رب العالمين؟ كان كلامه فيه من وراء وراء^(٣)، مبتهلة من سئل عن علم الكلام المختلف فيه: هل هو محمود؟ أو مذموم؟ فأخذ يتكلم في جنس الكلام وانقسامه: إلى الاسم، والفعل، والحرف، أو يتكلم في مدح الصمت، أو في أن الله أباح الكلام والنطق، وأمثال ذلك مما لا يمس الم محل المشتبه المتنازع فيه.

[عدم اجتماع أحد في القرون المفضلة على سماع المكاء والتصدية]:
إذا عرف هذا: فاعلم أنه لم يكن في عنفوان القرون الثلاثة المفضلة لا

(١) وهو سماع التصفيير والتصفيق.

(٢) والله در القائل :

لَكَنْهُ إِطْرَاقُ سَاءِ لَاهِي
وَأَتَى الْغَنَاءُ نَكَالْحَمِيرِ تَاهَقُوا
وَاللهُ مَا رَقَصُوا لِأَجْلِ اللهِ
فَمَتَى رَأَيْتَ عِبَادَةً بِمَلَاهِي؟
تَقْبِيدهُ بِأَوْامِرِ وَنَوَاهِي
زَجْرًا وَتَخْوِيفًا بِفَعْلِ مَبَاهِي
تَهْوِيَّاتِهَا يَا وَيْحَاهَا الْمَتَنَاهِي
ثَقْلُ الْكِتَابِ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوُا
وَرَأَوْهُ أَعْظَمَ قَاطِعَ لِلنَّفْسِ عَنْ
وَأَتَى السَّمَاعَ مُوافِقًا أَغْرِاصَهَا
فَلِأَجْلِ ذَاكَ غَدًا عَظِيمُ الْجَاهِ

(انظر بقية الأبيات في غذاء الألباب لشرح منظومة الأدب للشيخ محمد السفاريني الحنبلي ج ١ ص ١٦١).

(٣) كذا بالأصل.

بالحجاز ولا بالشام، ولا باليمن، ولا مصر، ولا المغرب، ولا العراق، ولا خراسان، من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية، لا بدف، ولا بكف، ولا بقضيب، وإنما أحدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية، فلما رأه الأئمة أنكروه.

[إنكار الأئمة لسماع المكاء والتصدية]:

قال: الشافعي - رضي الله عنه - خللت بغداد شيئاً أحدثه الزنادقة، يسمونه «التغيير»^(١) يصدون به الناس عن القرآن^(٢). وقال يزيد بن هارون^(٣): ما يغير إلا الفاسق، ومتى كان التغيير؟! ..

وسيئ عن الإمام أحمد، قال: أكرهه، هو محدث. قيل: أنجلس معهم؟ قال: لا، وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه، وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه، فلم يحضره إبراهيم بن أدهم^(٤)، ولا الفضيل بن عياض^(٥). ولا معروف الكرخي^(٦) ولا أبو سليمان الداراني^(٧)، ولا أحمد بن أبي

(١) التغيير: هو ما يربطون فيه من الشعر في ذكر الله، كأنهم إذا تناشدوه بالألحان طربوا. [لسان العرب لابن منظور ٥/٥].

(٢) انظر لسان العرب ج ٥ ص ٥.

(٣) هو يزيد بن هارون بن زادان السلمي مولاهم، أبو خالد الواسطي، ثقة متقن عابد، من التاسعة مات سنة ست ومائتين وقد قارب التسعين [تقريب التهذيب ص ٦٠٦].

(٤) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمي ويقال العجلبي، أحد مشايخ العباد وأكابر الزهاد، أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق وكانت وفاته سنة ١٦١ هـ [البداية والنهاية لابن كثير ١٣٥/١٠، الأعلام للزرکلي ١/٣١].

(٥) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، أبو علي، الزاهد المشهور أصله من خراسان، وسكن مكة، ثقة عابد إمام مات سنة ١٨٧ [تقريب التهذيب ص ٤٤٨].

(٦) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد والتصوفين وهو من جلة المشايخ وقد مائهم، والمذكورين بالورع والفتوة، كان أستاذ سري السقطي. توفي سنة ٢٠٠ هـ [انظر طبقات الصوفية للسلمي ص ٨٣ والأعلام ج ٧ ص ٢٦٩].

(٧) هو أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن عطية ويقال عبد الرحمن بن أحمد بن عطية =

الحواري^(١)، والسرى السقطى^(٢) وأمثالهم. والذين حضروه من الشيوخ المحمودين تركوه في آخر أمرهم. وأعيان المشائخ عابوا أهله، كما فعل ذلك عبد القادر^(٣)، والشيخ أبو البيان^(٤)، وغيرهما من المشائخ.

[ذكر بعض من رغب في هذا السماع ودعا إليه]

وما ذكره الشافعى - رضى الله عنه - من أنه من إحداث الزنادقة كلام إمام خبير بأصول الإسلام، فإنَّ هذا السماع لم يرحب فيه ويدعو إليه في الأصل إلا من هو مُتَهَمٌ بالزنادقة: كابن الرواوندى^(٥) والفارابى، وابن سينا، وأمثالهم: كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمى^(٦) - في مسألة السماع - عن ابن الرواوندى. قال:

= العنسى وهو من أهل داريا، قرية من قرى دمشق، كان عديم النظير زهداً وصلاحاً له كلام رفيع في التصوف والمواعظ. مات سنة ٢١٥ هـ. [طبقات الصوفية ص ٧٥، وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ج ٢ ص ١٣].

(١) هو أبو الحسن أحمد بن أبي الحوارى، الزاهد الكبير، كان من كبار المحدثين والصوفية وأجل أصحاب أبي سليمان الدارانى مات سنة ثلاثين ومائتين. [طبقات الصوفية ص ٩٨، وشذرات الذهب ج ٢ ص ١١٠].

(٢) هو السرى بن المُغنى السقطى أوالحسن البغدادى أحد الأولياء الكبار يقال إنه خال الجنيد وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته مات نحو سنة ٢٥١ هـ [طبقات الصوفية ص ٤٨، شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٧].

(٣) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسينى، أبوأحمد محى الدين الجيلاني أو الكيلانى أو الجيلى مؤسس الطريقة القادرية من كبار الزهاد والمتصوفين ولد في جيلان سنة ٤٧١ هـ وتوفي سنة ٦٥١ هـ [الأعلام ٤/٤٧، فوات الوفيات ٢/٢٩٥].

(٤) هو نبا بن محمد بن محفوظ القرشى المعروف بابن الحوارانى الشيخ أبو البيان شيخ الطائفة البيانية (من المتصوفة) بدمشق توفي سنة ٥٥١ هـ [الأعلام ٨/٦].

(٥) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الرواوندى العالم المشهور، له مقالة في علم الكلام، وكان من الفضلاء في عصره ونسبته إلى راوند توفي سنة ٢٤٥ هـ [وفيات الأعيان ١/٩٤].

(٦) هو محمد بن الحسين بن موسى النسابرى الصوفى الحافظ، شيخ الصوفية، صحب جده أبا عمر ابن نجید وسمع الأصم وطبقته، وصنف التفسير والتاريخ وغير ذلك، وبلغت تصانيفه مائة توفي سنة ٤١٢ هـ [شذرات الذهب ج ٣ ص ١٩٦].

إنه اختلف الفقهاء في السماع: فأباحه قوم. وكرهه قوم. وأنا أوجبه - أو قال - وأنا أمر به. فخالف إجماع العلماء في الأمر به.

و«الفارابي»^(١) كان بارعاً في الغناء الذي يسمونه «الموسيقا». وله فيه طريقة عند أهل صناعة الغناء، وحكياته مع ابن حمدان^(٢) مشهورة^(٣). لما ضرب فاكاهم. ثم أضحكهم، ثم نومهم ثم خرج.

و«ابن سينا»^(٤) ذكر في إشاراته، في «مقامات العارفين» في الترغيب فيه، وفي عشق الصور، ما يناسب طريقة أسلافه فلاسفة، والصابئين المشركين، الذين كانوا يعبدون الكواكب، والأصنام، كأرسطو وشيعته من اليونان - ومن اتباهه كبر قلس، وثامسطيوس، والإسكندر الأفروديسي، وكان أرسطو وزير الإسكندر بن فيليب المقدوني، الذي تؤرخ له اليهود والنصارى، وكان قبل المسيح بنحو ثلاثة عشر سنة.

وأما «ذو القرنين» المذكور في القرآن الذي بني «السد» فكان قبل هؤلاء بزمن طويل، وأما الإسكندر الذي وزر له أرسطو: فإنه إنما بلغ بلاد خراسان

(١) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي، الحكيم المشهور صاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم، وهو أكبر فلاسفة المسلمين، توفي بدمشق سنة ٣٣٩ هـ [وفيات الأعيان ٥٣٢/٥].

(٢) هو سيف الدولة الحمداني علي بن عبد الله بن حمدان، الأمير المشهور، وكانت ولادته يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة سنة ثلثة وثلاثين وقيل سنة أحدي وثلاثين وتوفي يوم الجمعة ثالث ساعة وقيل رابع ساعة لخمس بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلاثين بحلب. [وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٤٠/٣].

(٣) انظر حكاية الفارابي مع سيف الدولة الحمداني لما حضر الفارابي بمجلس سيف الدولة - في كتاب وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٥٥ .

(٤) هو الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي شرف الملك، الفيلسوف الرئيسي، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعتيات والأليهيات، ولد في إحدى قرى بخاري سنة ٣٧٠ هـ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ كان من القرامطة الباطينين. [انظر وفيات الأعيان ٢/١٥٧ والأعلام ٢/٢٤١].

ونحوها في دولة الفرس ، لم يصل إلى السد وهذه الأمور مبسطة في غير هذا الموضوع .

و «ابن سينا» أحدث فلسفة ركبتها من كلام سلفه اليونان . ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية . ونحوهم . وسلك طريق الملاحدة الإسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ، ومزجه بشيء من كلام الصوفية ، وحقيقة تعود إلى كلام إخوانه الإسماعيلية القرامطة الباطنية : فإن أهل بيته كانوا من الإسماعيلية : أتباع الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمانه ، ودينهم دين أصحاب «رسائل إخوان الصفا» ، وأمثالهم من أئمة منافقي الأمم الذين ليسوا مسلمين ، ولا يهود ولا نصارى .

وكان الفارابي قد حذر^(١) في حروف اليونان التي هي تعاليم أرسطو ، وأتباعه من الفلاسفة المشائين . وفي أصواتهم صناعة الغناء . ففي هؤلاء الطوائف من يُرِغَبُ فيه ويجعله مما تزكي به النفوس ، وترتاض به ، وتهذب به الأخلاق .

[ابعاد الحفاء عن السماع المحرم] :

وأما «الحفاء» أهل ملة إبراهيم الخليل ، الذي جعله الله إماماً ، وأهل دين الإسلام ، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً غيره ، المتبعون لشريعة خاتم الرسل محمد - ﷺ - فهؤلاء ليس فيهم من يُرِغَبُ في ذلك ، ولا يدعوه إليه . وهؤلاء هم أهل القرآن ، والإيمان ، والهدى ، والسعادة ، والرشاد ، والنور ، والفلاح ، وأهل المعرفة والعلم ، واليقين والإخلاص ، والمحبة له ، والتوكل عليه ، والخشية له ، والإناية إليه .

(١) حذر : مهر.

[وَهُمُ الْبَعْضُ فِي حُضُورِ السَّمَاعِ الْمُحْرَمِ] :

ولكن قد حضره أقوام من أهل الإرادة ، وممن له نصيب من المحبة .
لما فيه من التحرير لهم ، ولم يعلموا غائلته^(١) ولا عرفوا مغبته^(٢) ، كما دخل
قوم من الفقهاء أهل الإيمان بما جاء به الرسول في أنواع من كلام الفلسفه
المخالف لدين الإسلام ، ظناً منهم أنه حق موافق ولم يعلموا غائلته ، ولا
عرفوا مغبته ، فإن القيام بحقائق الدين علمًا وحالًا وقولًا وعملاً ومعرفة وذوقًا
خبرة لا يستقل بها أكثر الناس .

[وَجُوبُ الاعتصامِ بِالكتابِ والسنّةِ] :

ولكن الدليل الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنّة ؛ فإن الله بعث
محمدًا ﷺ بالهدي ودين الحق ليظهره على الين كله ، وكفى بالله شهيداً .

وقد قال تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نَعْمَلٌ
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا »^(٣) وقد قال تعالى : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَبْغُوا السُّبُلَ فَتَرَقُّبُوكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ »^(٤) . قال عبد الله بن مسعود :
« خَطُّ لَنَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ - خَطًا ، وَخَطُّ خَطْوَاتًا ، عَنْ يَمِينِهِ وَشَمَائِلِهِ . ثُمَّ قَالَ :
هَذَا سَبِيلُ اللهِ ، وَهَذِهِ سُبُلُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِّنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُ إِلَيْهِ . ثُمَّ قَرَا :
« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَبْغُوا السُّبُلَ فَتَرَقُّبُوكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ »^(٥) .

(١) أي لم يعلموا ما فيه من أمر منكر وداهية [لسان العرب ١١ / ٥٠٧].

(٢) مغبته: أي عاقبتها وآخرها [لسان العرب ١ / ٦٣٤].

(٣) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٤) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

(٥) الحديث رواه أحمد في مستذه عن جابر ج ٣ ص ٣٩٦ ، ورواه البزار عن عبد الله بن مسعود انظر كشف الأستار ج ٣ ص ٤٩ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٢ (وفيه عاصم بن بهلة وهو ثقة وفيه ضعف).

وقد قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه »^(١) فقد رضي الله عن السابقين رضا مطلقاً ، ورضي عنمن اتبعهم بإحسان . قال عبد الله بن مسعود : إن الله نظر في قلب محمد فوجد قلبه خير قلوب العباد . فاصلطه لرسالته ، ثم نظر في قلوب الناس بعد قلبه ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فما رأه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح . وقال عبد الله بن مسعود : من كان منكم مُستنِّاً فليستنِّ بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحابُ محمد ﷺ أَبْرَهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ قلوبِهَا ، وأعمقها علمًا فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم^(٢) .

[أضرار ومقاصد سماع المكاء والتصدية] :

ومن كان له خبرة بحقائق الدين ، وأحوال القلوب ومعارفها ، وأذواقها ، ومواجideها ، عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلوب منفعة . ولا مصلحة إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه ، فهو للروح كالخمر للجسد ، يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس .

ولهذا يورث أصحابه سكرًا أعظم من سكر الخمر ، فيجدون لذة بلا تميز ، كما يجد شارب الخمر ؛ بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ، ويصدح ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصدح الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس بيد ، بل بما يقترن بهم من الشياطين ؛ فإنه يحصل لهم أحوال شيطانية ، بحيث تننزل عليهم الشياطين في تلك الحال ، ويتكلمون على ألسنتهم ، كما يتكلم الجن على لسان المتصدّع : إما بكلام من جنس كلام الأعاجم ، الذين

(١) الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

(٢) انظر مستند أبي داود الطيالسي ص ٣٣ ، وكتز العمال ٤٨٥ / ١٢ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ٣٧٥ .

لا يفقه كلامهم ، كلسان الترك . أو الفرس ، أو غيرهم ، ويكون الإنسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذلك ، بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم . وإنما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى . وهذا يعرفه أهل المكافحة «شهوداً وعياناً» .

وهواء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط ، فإن الشياطين تلبس أحدهم ، بحيث يسقط إحساس بدنـه ، حتى إن المصروع يضرب ضرباً عظيماً ، وهو لا يحس بذلك ، ولا يؤثر في جلـده ، فكذلك هواء تلبسـهم الشياطين ، وتدخلـهم النار وقد تطيرـهم في الهواء ، وإنما يلبـس أحدهـم الشـيطان مع تغـيـب عـقـله ، كما يلبـس الشـيطان المصـروع .

وبأرض الهند ، والمغرب ، ضرب من الزـط^(١) يقال لأـحـدـهم : المصـلي فإـنه يصلـي النار كما يصلـي هوـاء ، وتـلبـسـه ويدـخلـها ويطـيرـفي الهـواء ، ويـقـفـ على رأس الزـج^(٢) ، ويـفـعـلـ أـشـيـاء أـبـلـغـ ما يـفـعـلـه هوـاء ، وـهـمـ منـ الزـطـ الـذـينـ لاـ خـالـقـ لـهـمـ ، وـالـجـنـ تـخـطـفـ كـثـيرـاًـ مـنـ الإـنـسـنـ وـتـغـيـبـهـ عـنـ أـبـصـارـ النـاسـ ، وـتـطـيرـهـمـ فيـ الهـواءـ ، وـقـدـ باـشـرـنـاـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـورـ مـاـ يـطـولـ وـصـفـهـ ، وـكـذـلـكـ يـفـعـلـ هـذـاـ هـوـاءـ الـمـتـلـهـوـنـ^(٣)ـ وـالـمـتـسـبـوـنـ إـلـىـ بـعـضـ الـمـشـائـخـ إـذـاـ حـصـلـ لـهـ وـجـدـ سـمـاعـيـ ، وـعـنـ سـمـاعـ الـمـكـاءـ وـالـتـصـدـيـةـ ، مـنـهـمـ مـنـ يـصـعـدـ فيـ الهـواءـ ، وـيـقـفـ عـلـىـ زـجـ الرـمـحـ ، وـيـدـخـلـ النـارـ ، وـيـأـخـذـ الـحـدـيدـ الـمـحـمـىـ بـالـنـارـ ثـمـ يـضـعـهـ عـلـىـ بـدـنـهـ .

(١) الزـطـ: جـيلـ أـسـوـدـ مـنـ السـنـدـ إـلـيـهـمـ تـنـسـبـ الثـيـابـ الزـطـيـةـ ، وـقـيلـ جـيلـ مـنـ أـهـلـ الـهـنـدـ ، [انـظـرـ لـسـانـ الـعـرـبـ جـ ٧ـ صـ ٣٠٨ـ]ـ .

(٢) الزـجـ: الـجـدـيـدـةـ الـتـيـ تـرـكـبـ فـيـ أـسـفـلـ الـرـمـحـ . وـالـسـنـانـ يـرـكـبـ عـالـيـتـهـ وـالـزـجـ تـرـكـزـ بـهـ الـرـمـحـ فـيـ الـأـرـضـ وـالـسـنـانـ يـُطـعـنـ بـهـ [لـسـانـ الـعـرـبـ ٢ـ ٢٨٦ـ]ـ .

(٣) المـتـلـهـوـنـ: مـنـ الـوـلـهـ وـهـوـذـهـاـبـ الـعـقـلـ وـالـتـحـيـرـ مـنـ شـدـةـ الـوـجـدـ أـوـ الـحـزـنـ أـوـ الـفـقـدـ [لـسـانـ الـعـرـبـ ٥٦١ـ /ـ ١٣ـ]ـ .

وأنواع من هذا الجنس ، ولا تحصل له هذه الحال عند الصلاة ، ولا عند الذكر ، ولا عند قراءة القرآن : لأن هذه عبادات شرعية إيمانية إسلامية نبوية محمدية ، تطرد الشياطين ، وتلك عبادات بدعاية شركة شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين .

قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله . ويتدارسونه بينهم ، إلا غشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وحفظتهم الملائكة ، وذكراهم الله فيمن عنده »^(١) وقد ثبت في الحديث الصحيح « أن أسيد بن حضير لما قرأ سورة الكهف ، تنزلت الملائكة لسماعها ، كالظللة^(٢) فيها السرج »^(٣) .

ولهذا كان المكاء والتصدية يدعوا إلى الفواحش والظلم ، ويصد عن حقيقة ذكر الله تعالى والصلاحة كما يفعل الخمر ، والسلف يسمونه تغييراً ؛ لأن التغيير هو الضرب بالقضيب على جلد من الجلد ، وهو ما يغير صوت الإنسان على التلحين ، فقد يضم إلى صوت الإنسان . إما التصفيق بإحدى اليدين على الأخرى ، وإما الضرب بقضيب على فخذ وجلد ، وإما الضرب باليد على أختها ، أو غيرها على دف أو طبل ، كناقوس النصارى ، والنفح في صفارة كبوق اليهود . فمن فعل هذه الملاهي على وجه الديانة والتقرب فلا ريب في ضلالته وجهاته .

(١) الحديث رواه: مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبه والاستغفار بباب فضل الاجتماع على ثلاثة القرآن وعلى الذكر ج ٤ ص ٢٠٧٤ ، وأبي داود في كتاب الصلاة بباب ثواب قراءة القرآن ج ٢ ص ١٤٨ ، والترمذمي في كتاب القراءات ج ٥ ص ١٩٥ ، وابن ماجه في المقدمة بباب فضل العلماء والبحث على طلب العلم ج ١ ص ٨٢ وأحمد في مستنهج ٢ ص ٢٥٢ .

(٢) الظللة: هي ما بقي من الشمس كصحاب أو سقف بيت.

(٣) الحديث رواه: البخاري في كتاب فضائل القرآن بباب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن ج ٩ ص ٦٣ وفي سياقه اختلاف يسير، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين بباب نزول السكينة لقراءة القرآن ج ١ ص ٥٤٨ ، وأحمد في مستنهج ٣ ص ٨١ .

[آراء الأئمة في الغناء وآلات اللهو] :

وأما إذا فعلها على وجه التمتع والتلذع فمذهب الأئمة الأربعـة : أن آلات اللهو كلها حرام ، فقد ثبت في صحيح البخاري وغيره « أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون من أمرته من يستحل الحر والحرير ، والخمر والمعاـزف ، وذكر أنـهم يمسخون قردة وخنازير »^(١) .

و « المعاـزف » هي الملاهي كما ذكر ذلك أهل اللغة . جمع معزفة وهي الآلة التي يعزف بها : أي يصوت بها . ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو نزاعاً . إلا أن بعض المتأخرـين من أصحاب الشافعي ذكر في الـبراء وجـهـين ، بخلاف الأوـتـارـ وـنـحـوـهـاـ ؛ فـإـنـهـمـ لمـ يـذـكـرـواـ فـيـهـاـ نـزـاعـاـ . وأـمـاـ الـعـراـقـيـوـنـ الـذـيـنـ هـمـ أـعـلـمـ بـمـذـهـبـهـ وـأـتـبعـ لـهـ ، فـلـمـ يـذـكـرـواـ نـزـاعـاـ لـاـ فـيـ هـذـاـ ، بل صـنـفـ أـفـضـلـهـمـ فـيـ وـقـتـهـ أـبـوـ الطـبـيـبـ الطـبـرـيـ^(٢) شـيـخـ أـبـيـ إـسـحـاقـ الشـيـرـازـيـ^(٣) فـيـ ذـلـكـ مـصـنـفـاـ^(٤) مـعـرـوفـاـ . ولـكـنـ تـكـلـمـواـ فـيـ الغـنـاءـ الـمـجـرـدـ عـنـ آـلـاتـ اللـهـوـ :

(١) انظر فتح الباري ج ١٠ ص ٥١ ولفظ الحديث : (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعاـزـفـ ، ولـيـنـزلـنـ أـقـوـامـ إـلـىـ جـنـبـ عـلـمـ يـرـوحـ عـلـيـهـمـ بـسـارـحةـ لـهـمـ يـأـتـيـهـمـ - يعنيـ الفـقـيرـ - لـحـاجـةـ فـيـقـولـواـ : اـرـجـعـ إـلـيـنـاـ عـدـاـ فـيـتـهـمـ ، وـيـضـعـ الـعـلـمـ وـيـسـخـ آـخـرـيـنـ قـرـدـةـ وـخـنـازـيرـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ : وـأـخـرـجـهـ أـبـوـ دـاـوـدـ فـيـ كـتـابـ الـلـبـاسـ بـابـ ماـ جـاءـ فـيـ الـخـزـنـ ٤/٣١٩ـ ، وـفـيـ لـفـظـ اـخـتـلـافـ يـسـبـرـ عـمـاـ فـيـ لـفـظـ الـبـخـارـيـ .

(٢) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبرـيـ ، أبو الطـبـيـبـ قاضـيـ منـ أـعـيـانـ الشـافـعـيـةـ ولـدـ فـيـ آـمـلـ طـبـرـسـتـانـ سـنـةـ ٣٤٨ـ هـ وـاستـوطـنـ بـغـدـادـ ، وـولـيـ القـضـاءـ بـرـبـعـ الـكـرـخـ ، كـانـ إـمـاماـ وـرـعـاـ حـسـنـ الـخـلـقـ وـتـوـفـيـ بـغـدـادـ سـنـةـ ٤٥٠ـ هـ [انـظـرـ تـرـجـمـتـهـ فـيـ طـبـقـاتـ الشـافـعـيـةـ لـأـبـيـ بـكـرـ بـنـ هـدـيـةـ الـهـلـيـنـيـ صـ ١٥٠ـ ، وـالـأـعـلـامـ لـلـزـرـكـلـيـ جـ ٣ـ صـ ٢٢٢ـ].

(٣) هو الشـيـخـ أـبـيـ إـسـحـاقـ إـبـراهـيمـ بـنـ عـلـيـ بـنـ يـوسـفـ الشـيـرـازـيـ شـيـخـ الإـسـلامـ وـمـدارـ الـعـلـمـ وـالأـعـلـامـ فـيـ زـمـانـهـ ، وـلـدـ بـفـيـروـزـ آـبـادـ (قرـيـةـ مـنـ قـرـيـةـ شـيـرـازـ) فـيـ سـنـةـ ٣٩٣ـ هـ وـنـشـأـهـاـمـ دـخـلـ شـيـرـازـ وـتـفـقـهـ عـلـيـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ الـبـيـضـاـويـ ، تـوـفـيـ فـيـ بـغـدـادـ فـيـ يـوـمـ الـأـرـبـعـاءـ الـحادـيـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ جـادـىـ الـآـخـرـةـ سـنـةـ ٤٧٦ـ هـ وـدـفـنـ بـمـقـبـرـةـ بـابـ الـبـرـزـ . [طـبـقـاتـ الشـافـعـيـةـ لـلـهـلـيـنـيـ صـ ١٧٠ـ].

(٤) هذا المصنـفـ يـسـمـيـ (جـوـابـ فـيـ السـمـاعـ وـالـغـنـاءـ) وـهـوـ مـخـطـوـطـ فـيـ خـزانـةـ الـربـاطـ

(د) (١٥٨٨) كـماـ أـشـارـ لـذـلـكـ خـيـرـ الـدـيـنـ الـزـرـكـلـيـ فـيـ الـأـعـلـامـ جـ ٣ـ صـ ٢٢٢ـ .

هل هو حرام ؟ أو مكروه ؟ أو مباح ؟ وذكر أصحاب أحمد لهم في ذلك ثلاثة أقوال ، وذكروا عن الشافعي قولين ، ولم يذكروا عن أبي حنيفة ومالك في ذلك نزاعاً .

وذكر زكريا بن يحيى الساجي ^(١) - وهو أحد الأئمة المتقدمين المائلين إلى مذهب الشافعي - أنه لم يخالف في ذلك من الفقهاء المتقدمين إلا إبراهيم بن سعد ^(٢) من أهل البصرة ، وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو القاسم القشيري ^(٣) ، وغيرهما : عن مالك ، وأهل المدينة . في ذلك غلط . وإنما وقعت الشبهة فيه ، لأن بعض أهل المدينة كان يحضر السماع ، إلا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم ؛ بل قال إسحاق بن عيسى الطباع : ^(٤) سألت مالكاً عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء ، فقال : إنما يفعله عندنا الفساق ، وهذا معروف في كتاب أصحاب مالك ، وهم أعلم بمذهبهم ، ومذهب أهل المدينة من طائفة في المشرق لا علم لها بمذهب الفقهاء ، ومن ذكر عن مالك أنه ضرب بعود فقد افترى عليه ، وإنما نبهت على هذا ؛

(١) هو أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن البصري المعروف بالساجي ، منسوب إلى ساج وهو نوع من الخشب الجيد ، قال الشيخ أبو إسحاق . كان أحد الأئمة الفقهاء الحفاظ الثقات ، أخذ العلم عن الربيع والمزنبي وصنف كتاب اختلاف الفقهاء ، وكتاب علل الحديث ، توفي بالبصرة سنة سبع وثلاثمائة [طبقات الشافعية للحسيني ص ٤٤].

(٢) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، أبو إسحاق الزهري من العلماء بالحديث الثقات ، من أهل المدينة المنورة كان يبيع السماع ويضرب على العود ويغنى عليه ولد سنة ١٠٩ هـ وولي القضاء ببغداد وتوفي بها سنة ١٨٤ هـ [تقريب التهذيب ص ٨٩ ، والأعلام ٤٠ / ١].

(٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري أبو القاسم شيخ خراسان في عصره زهداً وعلماً بالدين له عدة مصنفات منها رسالة القشيرية توفي سنة ٤٦٥ هـ [الأعلام ٤ / ٥٧].

(٤) هو إسحاق بن عيسى بن نجيع البغدادي أبو عقيوب ، ابن الطباع ، سكن أذنه ، صدوق من الناسعة [تقريب التهذيب ص ١٠٢].

لأن فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي ، ومحمد بن طاهر المقدسي ، في ذلك حكايات وآثار ، يظن من لا خبرة له بالعلم وأحوال السلف أنها صدق .

[حال كتب الزهد والرقائق وبعض الآثار] :

وكان « الشيخ أبو عبد الرحمن » - رحمه الله - فيه من الخير والزهد والدين والتتصوف ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والأثار التي تواافق مقصوده كل ما يجده ؛ فلهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة ، والكلام المنقول ، ما يتتفع به في الدين . ويوجد فيها من الآثار السقيمة ، والكلام المردود ، ما يضر من لا خبرة له . وبعض الناس توقف في روایته . حتى أن البهقي كان إذا روى عنه يقول : حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه . وأكثر الحكايات التي يرويها أبو القاسم الفشيري صاحب الرسالة عنه ، فإنه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية .

و « محمد بن طاهر » له فضيلة جيدة من معرفة الحديث ورجاله ، وهو من حفاظ وقته ، لكن كثير من المتأخرین : أهل الحديث ، وأهل الزهد ، وأهل الفقه ، وغيرهم ، إذا صنفووا في باب ذكرروا ما رُويَ فيه من غثٌ وسمين ، ولم يميزوا ذلك ، كما يوجد من يصنف في الأبواب مثل المصنفين : في فضائل الشهور ، والأوقات ، وفضائل الأعمال والعبادات ، وفضائل الأشخاص ، وغير ذلك من الأبواب ، مثل ما صنف بعضهم في فضائل رجب ، وغيرهم في فضائل صلوات الأيام والليالي وصلاة يوم الأحد ، وصلاة يوم الإثنين ، وصلاة يوم الثلاثاء ، وصلاة أول جمعة في رجب . والافية رجب ، وأول رجب ، والافية نصف شعبان ، وإحياء ليلتي العيدین ، وصلاة يوم عاشوراء .

وأجود ما يروى من هذه الصلوات حديث صلاة التسبیح^(۱) ، وقد رواه أبو

(۱) حديث صلاة التسبیح وأوله (يا عباس يا عماد ألا أعطيك ألا منحك؟ ألا أحبوك؟ ألا أفعل بك

داود ، والترمذى . ومع هذا فلم يقل به أحد من الأئمة الأربعـة ؛ بل أـحمد ضعـفـ الحـديث ، ولم يستحبـ هذه الـصلـوات ، وأـما ابنـ المـبارـك فالـمنـقولـ عنـه ليسـ مثلـ الصـلاـةـ المـرـفـوعـةـ إـلـىـ النـبـيـ ﷺ ؟^(١) فإنـ الصـلاـةـ المـرـفـوعـةـ إـلـىـ النـبـيـ ﷺ ليسـ فيهاـ قـدـعةـ طـوـيـلـةـ بـعـدـ السـجـدـةـ الثـانـيـةـ ، وـهـذـاـ يـخـالـفـ الأـصـولـ فـلـاـ يـجـوزـ أـنـ تـثـبـتـ بـمـثـلـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ .

وـمـنـ تـدـبـرـ الأـصـولـ عـلـيـهـ أـنـهـ مـوـضـعـ . وـأـمـاـلـ ذـلـكـ ؛ فـإـنـهـ كـلـهـ أـحـادـيـثـ مـوـضـعـةـ ، مـكـذـوبـةـ ، بـاـتـفـاقـ أـهـلـ الـمـعـرـفـةـ ، مـعـ أـنـهـ تـوـجـدـ فـيـ مـشـلـ كـتـابـ أـبـيـ طـالـبـ^(٢) ، وـكـتـابـ أـبـيـ حـامـدـ ، وـكـتـابـ الشـيـخـ عـبـدـ الـقـادـرـ ؛ وـتـوـجـدـ فـيـ مـشـلـ أـمـالـيـ أـبـيـ الـقـاسـمـ بـنـ عـسـاـكـرـ^(٣) ، وـفـيـمـاـ صـفـهـ عـبـدـ الـعـزـيزـ الـكـانـيـ^(٤) ، وـأـبـوـ

= عشرـ خـصـالـ إـذـ أـنـتـ فـعـلـتـ ذـلـكـ غـفـرـ اللـهـ لـكـ ذـنـبـكـ . . . (الـخـ) رـوـاهـ أـبـوـ دـاـوـدـ فـيـ كـتـابـ الصـلاـةـ بـابـ صـلاـةـ التـسـبـيـحـ جـ ٢ـ صـ ٦٧ـ ، وـرـوـاهـ التـرـمـذـىـ فـيـ أـبـوـابـ الصـلاـةـ بـابـ مـاجـاءـ فـيـ صـلاـةـ التـسـبـيـحـ جـ ٢ـ صـ ٣٥٠ـ ، وـقـالـ هـذـاـ حـدـيـثـ غـرـبـ مـنـ حـدـيـثـ أـبـيـ رـافـعـ ، وـرـوـاهـ أـبـنـ مـاجـةـ فـيـ كـتـابـ إـقـامـةـ الصـلاـةـ بـابـ مـاجـاءـ فـيـ صـلاـةـ التـسـبـيـحـ جـ ١ـ صـ ٤٤٢ـ قـالـ فـيـ الرـوـاـنـدـ : قـالـ : الـسـنـدـيـ نـمـ الـحـدـيـثـ قـدـ تـكـلـمـ فـيـ الـحـفـاظـ وـالـصـحـيـحـ أـنـ حـدـيـثـ ثـابـتـ يـنـبـغـيـ لـلـنـاسـ الـعـمـلـ بـهـ ، وـرـوـاهـ الـحـاـكـمـ فـيـ الـمـسـتـدـرـكـ جـ ١ـ صـ ٣١٨ـ - ٣١٩ـ وـقـالـ : (هـذـاـ حـدـيـثـ وـصـلـةـ مـوـسـىـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ عـنـ الـحـكـمـ بـنـ اـبـانـ وـقـدـ خـرـجـهـ أـبـوـ بـكـرـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـحـاقـ وـأـبـوـ دـاـوـدـ سـلـيـمـاـنـ بـنـ الـأـشـعـثـ وـأـبـوـ عـبـدـ الـرـحـمـنـ أـحـمـدـ بـنـ شـعـيبـ فـيـ الصـحـيـحـ) . وـرـوـاهـ الـيـهـيـقـيـ فـيـ السـنـنـ الـكـبـرـىـ جـ ٣ـ صـ ٥١ـ .

(١) انظرـ سـنـنـ التـرـمـذـىـ جـ ٢ـ صـ ٣٤٨ـ - ٣٤٩ـ ، وـالـمـسـتـدـرـكـ لـلـحـاـكـمـ جـ ١ـ صـ ٣٢٠ـ فـيـهـماـ أـثـرـ أـبـنـ الـمـبـارـكـ هـذـاـ وـقـدـ قـالـ الـحـاـكـمـ فـيـ الـمـسـتـدـرـكـ (١ـ ٣٢٠ـ) : وـرـوـاهـ هـذـاـ حـدـيـثـ عـنـ أـبـنـ الـمـبـارـكـ كـلـهـ ثـقـاتـ أـثـيـاثـ وـلـاـ يـتـهـمـ عـبـدـ اللـهـ أـنـ يـعـلـمـ مـاـ لـمـ يـصـحـ عـنـهـ سـنـهـ .

(٢) هوـ أـبـوـ طـالـبـ الـمـكـيـ ، مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ عـطـيـةـ الـحـارـثـيـ الـوـاعـظـ الـزـاهـدـ ، صـاحـبـ كـتـابـ (قـوتـ الـقـلـوبـ) وـلـهـ مـصـنـفـاتـ فـيـ التـوـحـيدـ تـوـفـيـ سـنـةـ ٣٨٦ـ هـ [ـ وـفـيـاتـ الـأـعـيـانـ ٤ـ /ـ ٣٠٣ـ]ـ .

(٣) هوـ أـبـوـ الـقـاسـمـ ، عـلـيـ بـنـ حـسـيـنـ بـنـ هـبـةـ اللـهـ الدـمـشـقـيـ ، صـاحـبـ التـارـيـخـ الـكـبـيرـ الـمـتـوفـيـ سـنـةـ ٥٧١ـ هـ [ـ انـظـرـ كـشـفـ الـظـنـونـ جـ ١ـ صـ ١٦٢ـ]ـ .

(٤) هوـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ يـحـيـىـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ بـنـ مـسـلـمـ الـكـانـيـ ، الـمـكـيـ ، صـاحـبـ كـتـابـ الـحـيـدةـ ، كـانـ يـلـقـبـ الـغـولـ ، صـدـوقـ فـاضـلـ ، مـنـ صـفـارـ الـعـاـشـرـةـ تـوـفـيـ سـنـةـ ٢٤٠ـ هـ لـهـ نـصـانـيـفـ عـدـيـدةـ [ـ تـقـرـيـبـ الـتـهـذـيـبـ صـ ٣٥٩ـ ، الـأـعـلـامـ ٤ـ /ـ ٢٩ـ]ـ .

علي بن البناء^(١) ، وأبو الفضل بن ناصر^(٢) ، وغيرهم . وكذلك أبو الفرج بن الجوزي^(٣) : يذكر مثل هذا في فضائل الشهور ، ويذكر في الموضوعات أنه كذب موضوع .

والذين جمعوا الأحاديث في « الزهد والرقائق » يذكرون ما روی في هذا الباب ، ومن أجل ما صنف في ذلك ، وأندره « كتاب الزهد » لعبد الله بن المبارك . وفيه أحاديث واهية ، وكذلك « كتاب الزهد » لهناد بن السري^(٤) ، ولأسد بن موسى^(٥) ، وغيرهما . وأجود ما صنف في ذلك : « الزهد » للإمام أحمد ، لكنه مكتوب على الأسماء ، وزهد ابن المبارك على الأبواب ، وهذه الكتب يذكر فيها زهد الأنبياء ، الصحابة ، التابعين .

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البناء أبو علي البغدادي : فقيه حنفي ، من رجال الحديث ولد سنة ٣٩٦ وتوفي سنة ٤٧١ هـ . كان يقول : صفت مائة وخمسين كتاباً وقيل بلغت كتبه ٥٠٠ كتاب . [الأعلام للزرکلي ج ٢ ص ١٨٠] .

(٢) هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي ، أبو الفضل السلامي ويقال له ابن ناصر ، محدث العراق في عصره ولد سنة ٤٦٧ ببغداد وتوفي بها سنة ٥٥٠ له الأمالي في الحديث والتبيه على الفاظ الغربيين [انظر الأعلام ج ٧ ص ٢١٢] .

(٣) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله ابن الجوزي ينتهي نسبه إلى الخليفة أبي بكر رضي الله عنه ، اختلف في سنته ولادته هل هي سنة ٥١٠ أو قبلها ، كان حنفي المذهب وهو واعظ متمن صاحب تصانيف كثيرة شهيرة في أنواع العلم من التفسير والحديث والزهد والوعظ والأخبار والتاريخ والطب وغير ذلك ومن كتبه صفة الصفة وصيد الخاطر وتلبيس إبليس وغيرها توفي سنة ٥٩٧ هـ [شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٩] بتصرف .

(٤) هو هناد بن السري بن مصعب التميمي أبو السري الكوفي ، محدث ، زاهد من حفاظ الحديث كان شيخ الكوفة في عصره له كتاب الزهد . [تقريب التهذيب ص ٥٧٤ ، والأعلام ج ٨ ص ٩٦] .

(٥) هو أسد بن موسى الأموي الحافظ تزيل منصر ويقال له أسد السنة روى عن شعبة وطبقته ورحل في طلب الحديث وصنف التصانيف وهو أحد الفقates الأكياس توفي سنة ٢١٢ هـ [شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨٤] .

ثم إن المتأخرین على صنفين : منهم من ذکر زهد المتقدمین ، والمتأخرین . کأبی نعیم فی الحلیة ، وأبی الفرج بن الجوزی فی « صفة الصفوہ » .

[ذکر بعض الحکایات الباطلة] :

ومنهم من اقتصر علی ذکر المتأخرین ، من حین اسم الصوفیة کما فعل أبو عبد الرحمن السلمی فی « طبقات الصوفیة » وصاحبہ أبو القاسم القشیری فی الرسالۃ ، ثم الحکایات التي يذکرها هؤلاء بمجردھا ، مثل ابن خمیس^(۱) ، وأمثاله ، فیذکرون حکایات مرسلة ، بعضھا صحیح ، وبعضھا باطل .

مثل ذکرھم : أن الحسن صحب علیاً . وقد اتفق أهل المعرفة علی أن « الحسن البصري » لم يلق علیاً ، ولا أخذ عنه شيئاً ، وإنما أخذ عن أصحابه : كالاحنف بن قیس^(۲) وقیس بن معاذ ، وغيرهما^(۳) ، وكذلك حکایاتھم : أن الشافعی وأحمد اجتمعا لشیان الرعین^(۴) وسالاه عن سجود

(۱) هو الحسین بن نصر من بنی خمیس الکعی الموصلي الجنهی : من فقهاء الشافعیة ولد بالموصل سنة ۴۶۰ هـ وسكن بغداد ، ولی القضاء برجمة مالک ثم عاد إلى الموصل وتوفي فيها سنة ۵۵۲ هـ له كتب كثیرة منها الموضع فی الفرائض علی مذهب الشافعی ومناقب الأبرار ومحاسن الأخیار علی أسلوب القشیری ، مناسك الحج ، وغيرها [الأعلام ج ۲ ص ۲۶۱ ، وفيات الأعیان ۱۳۹ / ۲].

(۲) هو الأحنف بن قیس بن معاویة بن حصین التمیمی السعیدی ، أبو بحر البصري واسمھ الضحاک وقيل صخر ، والأحنف لقب ، أدرك النبي ﷺ ، وكان سید تمیم ، وأحد العظام الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحین ، يضرب به المثل فی الحلم ولد في البصرة سنة ۶۱۹ توفي سنة ۷۲ هـ [تهذیب التهذیب ۱ / ۱۹۱ ، الأعلام ۱ / ۲۷۶].

(۳) انظر المقاصد الحسنة للسخاوی ص ۳۳۱ ، والفوائد المجموعة للشوکانی ص ۲۵۳ ، وكشف الخفاء للعجلونی ۲ / ۱۸۰ ، والتذكرة فی الأحادیث المشهورة للزرکشی ص ۱۲۷ .

(۴) فی التذكرة فی الأحادیث المشتهرة والدرر المشترة : « شیان الراعی » انظر التذكرة ص ۱۲۷

السهو، وكذلك اتفق أهل المعرفة على أن الشافعي وأحمد لم يلقيا شيبان الرعين، بل ولا أدركاه^(١).

وقد ذكر أبو عبد الرحمن في «حقائق التفسير» عن جعفر بن محمد^(٢)، وأمثاله من الأقوال المأثورة ما يعلم أهل المعرفة أنه كذب على جعفر بن محمد ، فإن جعفر كذب عليه ما لم يكذب على أحد ؛ لأنه كان فيه من العلم والدين ، ما مَيْزَهُ الله به ، وكان هو وأبوه - أبو جعفر - وجده - علي بن الحسين - من أعيان الأئمة علمًا وديناً ، ولم يجيء بعد جعفر مثله [في أهل البيت] . فصار كثيراً من أهل الزندقة والبدع ينسب مقالاته إليه حتى أصحاب «رسائل إخوان الصفا» ينسبونها إليه . وهذه مذهب إسماعيلية العبيدين ، الذين بنوا القاهرة ، وصُنِّفت على مذهبهم الذي ركبوه من قول الفلسفه اليونان ، ومجوس الفرس ، والشيعة من أهل القبلة ؛ ولهذا قال العلماء : إن ظاهر مذهبهم الرفض ، وباطنه الكفر الممحض .

ونسبوا إلى جعفر أنه تكلم في تقدم المعرفة عن حوادث الكون : مثل اختلاج الأعضاء ، والرعد ، والبروق ، والهفت^(٣) ، وغير ذلك مما نَزَّهَ الله جعفراً وأئمه أهل بيته عن الكلام فيه . وهذا مبسط في غير هذا الموضوع .

[وجوب التمييز بين الصحيح والضعيف في المنقولات] :
و (المقصود هنا) أن المذكور عن سلف الأمة وأئمتها من المنقولات :

= والدرر المنتشرة ص ٢٢٠ وانظر الحديث عن شيبان الراعي في: صفة الصفوة ج ٤ ص ٣٧٦ .

(١) انظر التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزرκشي ص ١٢٧ ، والدرر المنتشرة للسيوطى ص ٢٢٠

(٢) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمى ، أبو عبد الله المعروف بالصادق ، صدوق ، فقيه ؛ إمام ، من السادسة [تقريب التهذيب ص ١٤١].

(٣) الهَفْتُ : تساقط الشيء قطعة بعد قطعة كما يهفت الثلج والرذاذ ونحوه [انظر لسان العرب] .

. ١٧٤ / ٢

ينبغي للإنسان أن يميز بين صحيحه وضعيه ، كما ينبغي مثل ذلك في المعقولات ، والنظريات ، وكذلك في الأذواق ، والمواجيد ، والمكاففات ، والمخاطبات ، فإن كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة ، فيها حق وباطل ، ولا بد من التمييز في هذا وهذا .

[جماع ذلك الموافقة للكتاب والسنة وما عليه الصحابة] :

وجماع ذلك أن ما وافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه ، وما كان عليه أصحابه فهو حق ، وما خالف ذلك فهو باطل . فإن الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُتِّمْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيًّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِّرِينَ وَأَنزَلَ مِنْهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فَيَا أَخْتَلِفُوا فِيهِ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَهُدِيَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٢) .

وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - :

« كان إذا قام من الليل يقول : « اللهم ! رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، أهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »^(٣) . والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضوع .

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢١٣ من سورة البقرة .

(٣) الحديث رواه : مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها بباب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح = ١

وقد تكلمنا على كلام المشائخ في السماع، وما ذكره القشيري في رسالته هو وغيره عنهم^(١)، وشرحنا ذلك كلمة كلمة، لكن هذا الموضع لا يتسع لذلك.

[لا دين إلا ما شرعه الله] :

وجماع الأمر في ذلك أنه إذا كان الكلام في السماع وغيره، هل هو طاعة وقربة؟ فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك ، وإذا كان الكلام : هل هو محرم؟ أو غير محرم؟ فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك . إذ ليس الحرام إلا ما حرم الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله والله سبحانه وتعالى ذم المشركين على أنهم ابتدعوا ديناً لم يشرعه الله لهم ، وأنهم حرموا ما لم يحرمه الله تعالى ، فقال تعالى : « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَّعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ »^(٢) وقال تعالى : « وَإِذَا فَعَلُوكُمْ فَاحشَّةً قَالُوكُمْ وَجَدْنَا عَلَيْكُمْ آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ ! . قُلْ أَمْرُ رَبِّي بِالْقِسْطِ . وَأَقِيمُوا وَجُوهُكُمْ عَنِ الدِّرْجَاتِ كُلِّ مسجِدٍ ، وادعوه مخلصين له الدين »^(٣).

وكتير من الناس يفعل في السماع وغيره : ما هو من جنس الفواحش المحرمة ، وما يدعون إليها ، وزعمهم أن ذلك يصلح القلوب ، فهو مما أمر الله به ، فهو لاء لهم نصيب من معنى هذه الآية . قال تعالى : « قُلْ : مَنْ حَرَمَ

= ص ٥٣٤ ، وأبوداود في كتاب الصلاة ، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ج ١ ص ٤٨٧ ، والنسائي في كتاب قيام الليل ، باب بأبي شيبة تستفتح صلاة الليل ج ٣ ص ٢١٢ ، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل ج ١ ص ٤٣١ / ٤٣٢ ، وأحمد في مسنده ج ٦ ص ١٥٦ .

(١) انظر الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري باب في السماع ص ١٥١ .

(٢) الآية ٢١ من سورة الشورى .

(٣) الآياتان ٢٨ - ٢٩ من سورة الأعراف .

زينة الله التي أخرج لعباده والطبياتِ مِن الرُّزق؟ قُلْ : هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصةً يوم القيمة ، كذلك تفضل الآيات لقومٍ يعلمون ، قل : إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّي الْفَوَاحِشِ . ما ظهر منها ، وَمَا بَطَنَ ، وَإِلَئِمَ ، وَالْبَغْيِ ، بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنْ شُرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ^(١) .

وقد كان المشركون يحرمون من الطعام واللباس أشياء ، ويتخذون ذلك ديناً ، وكان بعض الصحابة قد عزموا على الترهب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَبِيعَاتِ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ الْمُعْتَدِينَ ، وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَبِيعًا ^(٢) الآية .

وجماع الدين أن لا نعبد إلا الله ، ولا نعبد إلا بما شرع ، ولا نعبد بالبدع ، كما قال تعالى : ﴿ لِيَلِوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ^(٣) . قال الفضيل بن عياض : ^(٤) أخلصه ، وأصوبيه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبيه ؟ .

قال : إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يقبل . وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً ، لم يقبل . حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة . وهذا الذي ذكره الفضيل مما اتفق عليه أئمة المشائخ ، كما قال أبو سليمان الداراني ^(٥) : إنه لنمر بقلبي النكتة من نكت القوم ، فلا أقبلها إلا بشاهدين إثنين : الكتاب ، والسنة ، وقال الشيخ أبو سليمان أيضاً : ليس لمن ألم به شيئاً من الخير أن يفعله ، حتى يسمع فيه بأثر ، فإذا سمع بأثر كان نوراً على نور .

(١) الآياتان ٣٢ - ٣٣ من سورة الأعراف.

(٢) الآياتان ٨٧ - ٨٨ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٢ من سورة الملك والأية ٧ من سورة هود.

(٤) تقدمت ترجمته ص ٢٢ .

(٥) تقدمت ترجمته ص ٢٢ - ٢٣ .

وقال الجنيد^(١) : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث ، لم يصح له أن يتكلم في علمنا هذا ، وقال سهل بن عبد الله التستري^(٢) : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل ، وقال : كل عمل على ابتداع فإنه عذاب على النفس ، وكل عمل بلا اقتداء فهو غش النفس .

وقال أبو عثمان النسابوري^(٣) : من أمر السنة على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالبدعة ؛ لأن الله يقول : « وإن تطيوه تهتدوا »^(٤) . ومثل هذا كثير في كلامهم .

وإذا كان كذلك فليس لأحد أن يسلك إلى الله إلا بما شرعه الرسول لأمته ، فهو الداعي إلى الله بإذنه ، الهدى إلى صراطه ، الذي من أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار ، فهو الذي فرق الله به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغibi . آخره .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وصحبه وسلم .

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز ، أبو القاسم صوفي من العلماء بالدين مولده ومنشأه ببغداد وبها توفي سنة ٢٩٧ هـ ، كان أبوه يبيع الزجاج وكان هو خزازاً وأصله من نهاوند [انظر صفة الصفة لابن الجوزي ج ٢ ص ٤١٦ والأعلام ١٤١ / ٢] .

(٢) هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع ، أبو محمد التستري أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضيات والإخلاص ، وعيوب الافعال توفي سنة ٢٨٣ على الأرجح [طبقات الصوفية للسلمي ص ٢٠٦] .

(٣) هو أبو عثمان ، سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النسابوري أصله من الري ، كان في وقته من أوحد المشائخ في سيرته ، ومنه انتشرت طريقة التصوف بنسابور ، مات بنسابور سنة ٢٩٨ هـ [طبقات الصوفية للسلمي ص ١٧٠] .

(٤) الآية ٥٤ من سورة النور .

[السَّمَاعُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ وَآثَارُهُ] :

سُلِّلَ شِيخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ «السَّمَاعِ» فَأَجَابَ : «السَّمَاعُ» الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَانْفَقَ عَلَيْهِ سَلْفُ الْأَمَةِ وَمَشَايْخُ الطَّرِيقِ : هُوَ سَمَاعُ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ سَمَاعُ النَّبِيِّينَ، وَسَمَاعُ الْعَالَمِينَ، وَسَمَاعُ الْعَارِفِينَ، وَسَمَاعُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى : «أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِنْ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ، وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ ، وَمِنْ هَدِينَا وَاجْتَبَيْنَا ، إِذَا تَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكَيْا»^(١) وَقَالَ تَعَالَى : «إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ : سَبَحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لِمَفْعُولًا . وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا»^(٢) .

وَقَالَ تَعَالَى : «وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيَّ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ . يَقُولُونَ : رَبِّنَا آمَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ»^(٣) وَقَالَ تَعَالَى : «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ . وَإِذَا تُلِيتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقَنَاهُمْ يَنْفَقُونَ ؛ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ درَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ»^(٤) وَقَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى : «وَإِذَا قَرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمْعُوا لَهُ وَانْصُتاً لِعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ»^(٥) وَقَالَ تَعَالَى : «وَإِذَا صَرَفْنَا إِلَيْكُمْ نَفْرًا مِنَ الْجُنُونِ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا : أَنْصُتاً فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذَرِينَ»^(٦) .

وَقَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى : «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًًا ،

(١) الآية ٥٨ مِنْ سُورَةِ مُرِيمٍ.

(٢) الآيات ١٠٧ - ١٠٩ مِنْ سُورَةِ الإِسْرَاءِ.

(٣) الآية ٨٣ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ.

(٤) الآيات ٢ - ٤ مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ.

(٥) الآية ٢٠٤ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

(٦) الآية ٢٩ مِنْ سُورَةِ الْأَحْقَافِ.

مثانيٍ ، تَقْسِعُّ منه جُلُودُ الَّذِين يَخْشَوْنَ رَبَّهُم . ثُمَّ تَلِينُ جَلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴿١﴾ وَقَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى : « الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » ﴿٢﴾ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ .

وَكَمَا أَنْتَيْ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى هَذَا السَّمَاعِ ، فَقَدْ دَمَّ الْمُعْرِضِينَ عَنْهُ ، كَمَا قَالَ : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمِعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ وَالْفَغُوا فِيهِ لِعْلَكُمْ تَغْلِبُونَ » ﴿٣﴾ وَقَالَ : « وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا » ﴿٤﴾ وَقَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى : « فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكْرَةِ مُعْرِضِينَ ، كَانُوهُمْ حَمَرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ? » ﴿٥﴾ وَقَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى : « وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ ذُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَّ مَا قَدِمْتُ يَدَاهُ » ﴿٦﴾ وَقَالَ : « إِنَّ شَرَ الدُّوَابَّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ الْبُكُّمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ، وَلَوْ عِلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا سَمْعُهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعْهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرَضُونَ » ﴿٧﴾ وَقَالَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى : « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَيْ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَانَ فِي أَذْنِيهِ وَقْرًا . فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ » ﴿٨﴾ .

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَسُنْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ يَمْدُحُونَ مِنْ يَقْبِلُ عَلَى هَذَا السَّمَاعِ ، وَيَحْبِبُهُ وَيَرْغُبُ فِيهِ وَيَذْمُونَ مِنْ يَعْرِضُ عَنْهُ ، وَيَبغِضُهُ ، وَلَهُذَا شَرْعُ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي صَلَاتِهِمْ وَلِطَسْبِهِمْ ﴿٩﴾ شَرْعُ سَمَاعِ الْمَغْرِبِ ، وَالْعِشَاءِ الْآخِرِ .

(١) الآية ٢٣ من سورة الزمر.

(٢) الآية ١٨ من سورة الزمر.

(٣) الآية ٢٦ من سورة فصلت.

(٤) الآية ٧٣ من سورة الفرقان.

(٥) الآياتان ٤٩ - ٥٠ من سورة المدثر.

(٦) الآية ٥٧ من سورة الكهف.

(٧) الآياتان ٢٢ - ٢٣ من سورة الأنفال.

(٨) الآية ٧ من سورة لقمان.

(٩) كذا بالأصل.

وأعظم سماع في الصلوات سماع الفجر الذي قال الله فيه : ﴿ وَقَرَآنَ
الْفَجْرِ . إِنَّ قَرَآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾^(١) وقال عبد الله بن رواحة^(٢) - رضي
الله عنه - يمدح النبي ﷺ - :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
بيت يُجافي جنبة عن فراشه إذا استقلت بالمشركين الممساجع
أرانا الهدى بعْدَ الْغَمَى فقلوْنَا به موقنات أَنَّ ما قال واقع^(٣)

وهو مستحب لهم خارج الصلوات ، وروي عن النبي ﷺ : « أَنَّهُ خَرَجَ
عَلَى أَهْلِ الصَّفَةِ . وَفِيهِمْ وَاحِدٌ يَقْرَأُ وَهُمْ يَسْمَعُونَ ، فَجَلَسُوا مَعَهُمْ »^(٤) . وكان
 أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والباقيون يستمعون.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : يا أبا موسى ! ذكرنا ربنا ،
فيقرأ لهم يستمعون^(٥) . ومَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي مُوسَى وَهُوَ يَقْرَأُ : فَجَعَلَ يَسْمَعُ
لِقَرَاءَتِهِ ، وَقَالَ : « لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مَزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ دَاؤِدَ »^(٦) وَقَالَ : « يَا أَبَا

(١) الآية ٧٨ من سورة الإسراء .

(٢) هو عبد الله رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري الشاعر المشهور ،
يكنى أبا محمد ويقال كنيته أبو رواحة ويقال أبو عمرو . وهو من السابقين الأولين شهد
بدرًا واستشهد بممؤته وكان ثالث الأمراء بها في جمادى الأول سنة ثمان للهجرة .
[الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/٢٩٨، وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٣٠٣].

(٣) انظر أبيات عبد الله بن رواحة في صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٩ وج ١٠ ص ٥٤٦ وفي الجامع
لأحكام القرآن للقرطبي المجلد الثالث ج ٥ ص ٢٠٩ . ومعنى يجافي جنبه : أي يرفعه
عن الفراش ، وهو كناية عن صلاته بالليل ؛ والمراد بالعمى ، الضلالة [انظر فتح الباري
شرح صحيح البخاري ج ٣ ص ٤١].

(٤) لم أُعثِر على هذا الحديث بعد البحث .

(٥) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ٢٥٨ .

(٦) الحديث آخرجه : البخاري في كتاب فضائل القرآن بباب حسن الصوت بالقراءة للقرآن ج ٩ ص ٩٢ ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين بباب استحساب تحسين الصوت بالقرآن ج ١ ص ٥٤٦ ، والترمذى في المناقب بباب في مناقب أبي موسى الأشعري ج ٥ ص ٦٩٣ ، والنمسائى في كتاب

موسى! لقد مررتُ بك البارحة وأنت تقرأ فجعلتُ استمع لقراءتك» فقال: لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبّرًا^(١) أي: حسته لك تحسيناً.

وقال النبي ﷺ: «ليس منا من لم يتغنى بالقرآن»^(٢). «زينوا القرآن بأصواتكم»^(٣) وقال: «للله أشد أذنًا»^(٤) للرجل حسن الصوت ، من صاحب القينة^(٥) إلى قيته^(٦) قوله: «ما أذن الله أذنًا»^(٧) أي سمع سمعاً ، ومنه

= الافتتاح باب تزيين القرآن بالصوت ج ٢ ص ١٨٠ ، والدارمي في كتاب الصلاة باب التغنى بالقرآن ج ١ ص ٣٤٩ ، وأحمد في المستدج ج ٥ ص ٣٤٩ .

(١) الحديث أخرجه: أبو يعلى وفيه خالد بن نافع الأشعري وهو ضعيف ولفظه (يا أبا موسى مررت بك البارحة ومعي عائشة وأنت تقرأ في بيتك فقمنا واستمعنا فقال له أبو موسى أما إني يا رسول الله لو علمت لحبرته لك تحبّرًا انظر مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٧١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٦٠ رواه الطبراني ورجاله على شرط الصحيح غير خالد بن نافع الأشعري ووثقه ابن حبان وضعفه جماعة ، وأبو نعيم في الحلية ١، ٢٥٨ / ١ والروياني وابن سعد فيما عزاه إليهما الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩٣ / ٩ .

(٢) الحديث رواه: البخاري في كتاب التوحيد بباب قول الله تعالى (وأسرعوا علىكم أو اجهروا به ..) ج ١٣ ص ١٥٠ ، وأبو داود في كتاب الصلاة باب في استجواب الترتيل في القراءة ج ٢ ص ١٥٦ ، والدرامي في كتاب الصلاة باب التغنى بالقرآن ج ١ ص ٣٤٩ ، وأحمد في مستدج ج ١ ص ١٧٢ .

(٣) الحديث رواه: أبو داود في كتاب الصلاة باب استجواب الترتيل في القراءة ج ٢ ص ١٥٥ والنسائي في الافتتاح باب تزيين القرآن بالصوت ج ٢ ص ١٨٠ ، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة باب في حسن الصوت بالقرآن ج ١ ص ٤٢٦ ، والدارمي ج ٢ ص ٤٧٤ ، وأحمد في مستدج ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٤) أذنًا: أي استماعاً

(٥) القينة: الأمة مُعنيَةً كانت أو غير مغنية والجمع القِيَان [مختار الصحاح ص ٥٦٠].

(٦) الحديث أخرجه: الإمام أحمد في مستدج ج ٦ ص ١٩ ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة باب في حسن الصوت بالقرآن ج ١ ص ٤٢٥ وقال البوصيري في الزوائد ج ١ / ٤٣٦ (إسناده حسن) ، والحاكم في المستدرיך ج ١ ص ٥٧١ وقال: هذا الحديث صحيح: على شرط الشيختين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي بل هو منقطع رواه ابن حبان في صحيحه انظر الإحسان ترتيب صحيح ابن حبان ٢/٦٧ ، والبيهقي ١/٢٣٠ والطبراني ١/١٨ .

(٧) رواه مع اختلاف يسir البخاري في كتاب فضائل القرآن باب من لم يتغنى بالقرآن ج ٩ =

قوله : « وأذنت لربها وحقت »^(١) أي سمعت ، والآثار في هذا كثيرة .

[آثار هذا السماع في الصحابة] :

وهذا سمع له آثار إيمانية من المعارف القدسية ، والأحوال الزكية يطول شرحها ، ووصفها . وله في الجسد آثار محمودة . من خشوع القلب . ودموع العين ، واقشعرار الجلد ، وقد ذكر الله هذه الثلاثة في القرآن . وكانت موجودة في أصحاب رسول الله - ﷺ - الذين أثّر عليهم في القرآن ، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة : الاضطراب ، والاحتلاج ، والإغماء - أو الموت ، والهياق ؛ فأنكر بعض السلف ذلك - إما لبدعتهم ، وإما لحبهم .

وأماماً جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك ؛ فإن السبب إذا لم يكن محظوراً كان صاحبه فيما تولد عنه معذوراً . لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم ، وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقصوتهم كانوا مذمومين ، كما ذم الله الذين قال فيهم : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك »^(٢) وقال : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل . فطال عليهم الأمد ، فقصدت قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون »^(٣) ولو أثر فيهم آثاراً محمودة لم يجذبهم عن حد العقل . لكانوا كمن أخرجهم إلى حد الغلبة كانوا ممدودين أيضاً ومعذورين .

ص ٦٨ ، ومسلم ج ٢ ص ٥٤٥ وأبو داود في كتاب الصلاة باب استجباب الترتيل في القراءة ج ٢ ص ١٥٧ ، والنسائي ج ٢ ص ١٨٠ ، والدارمي ج ٢ ص ٣٤٩ ، وأحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٧١ .

(١) الآية ٢ والأية ٥ من سورة الانشقاق .

(٢) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٦ من سورة الحديد .

[السماع المحدث بدعة] :

فَإِمَّا سَمَاعُ الْقَاصِدِينَ لصَالَحِ الْقُلُوبَ فِي الْاجْتِمَاعِ عَنِ الْذَّلِكِ : إِمَّا نَشِيدُ مُجْرِدًا ، نَظِيرُ الْغَبَارِ ، إِمَّا بِالتَّصْفِيقِ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ . فَهُوَ السَّمَاعُ الْمَحْدُثُ فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ أَحَدِثَ بَعْدِ ذَهَابِ الْقَرْوَنِ الْثَّلَاثَةِ الَّذِينَ أَتَيْتُهُمُ النَّبِيُّ - ﷺ - حِيثُ قَالَ : « خَيْرُ الْقَرْوَنِ : الْقَرْنُ الَّذِي بَعَثْتُ فِيهِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونُهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونُهُمْ »^(١) وَقَدْ كَرِهَ أَعْيَانُ الْأُمَّةِ وَلَمْ يَحْضُرْ أَكَابِرُ الْمُشَايخِ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحْمَهُ اللَّهُ - : خَلَقْتَ بَيْغَدَادَ شَيْئًا أَحَدَثْتَهُ الزَّنَادِقَةُ يَسْمُونُهُ التَّغْبِيرَ يَصْدُونَ بِهِ النَّاسَ عَنِ الْقُرْآنِ .

وَسُئِلَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلِ فَقَالَ : هُوَ مَحْدُثُ أَكْرَهِهِ ، قُيلَ لَهُ : إِنَّهُ يَرْقُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ . فَقَالَ : لَا تَجْلِسُوهُمْ . قُيلَ لَهُ : أَيْهُجُورُونَ؟ فَقَالَ : لَا يَلْعَبُ بِهِمْ هَذَا كُلُّهُ ، فَبَيْنَ أَنَّهُ بَدْعَةٌ لَمْ يَفْعُلُهَا الْقَرْوَنُ الْفَاضِلَةُ ، لَا فِي الْحِجَازِ ، وَلَا فِي الشَّامِ ، وَلَا فِي الْيَمَنِ ، وَلَا فِي مِصْرَ ، وَلَا فِي الْعَرَاقِ ، وَلَا فِي خَرَاسَانِ . وَلَوْ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ مَنْفَعَةٌ فِي دِينِهِمْ لَفَعَلَهُ الْسَّلْفُ .

وَلَمْ يَحْضُرْهُ مَثْلُ : إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ ، وَلَا الْفَضِيلَ بْنَ عِيَاضَ ، وَلَا مَعْرُوفَ الْكَرْخِيَّ ، وَلَا السَّرِيِّ السَّقْطِيُّ ، وَلَا أَبُو سَلِيمَانَ الدَّارَانِيَّ ، وَلَا مَثْلُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ، وَالشَّيْخِ عَدِيٍّ^(٢) ، وَالشَّيْخِ أَبْيَ الْبَيَانِ ، وَلَا الشَّيْخِ

(١) الحديث أخرجه: البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ج ٥ ص ٢٥٨ / ٢٥٩، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ج ٤ ص ١٩٦٤، والنسائي في كتاب التذور باب الوفاء بالدرج ٧ ص ١٧ / ١٨، وأبو داود في كتاب السنة باب فضل أصحاب رسول الله ﷺ ج ٥ ص ٤٤، وأحمد في مستنه ج ٢ ص ٢٢٨ مع اختلاف يسير.

(٢) هو الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى الهكاري من ذرية مروان بن الحكم الأموي من شيوخ المتصوفين، تنسب إليه الطائفة العدوية، كان صالحًا ناسكًا مشهوراً =

حياة^(١) ، وغيرهم : بل في كلام طائفة من هؤلاء - كالشيخ عبد القادر وغيره -
النهي عنه، وكذلك أعيان المشائخ .

[حكم من حضر هذا السماع من المشائخ الصالحين وما اشترطوا له] :
وقد حضره من المشائخ طائفة ، وشرطوا له المكان ، والإمكان ،
والخلان ، والشيخ الذي يحرس من الشيطان . وأكثر الذين حضروه من
المشائخ المؤتوق بهم رجعوا عنه في آخر عمره كالجندى فإنه حضره وهو شاب ،
وتركتهم في آخر عمره . وكان يقول : من تَكَلَّفَ السَّمَاعَ فُتِنَّ بِهِ ، ومن صادفه
السماع استراح به . فقد ذم من يجتمع له ، ورخص فيمن يصادفه من غير قصد .
ولا اعتماد للجلوس له .

[الحكمة في عدم شرعية السماع المحدث] :

وبسبب ذلك أنه مجمل ليس فيه تفصيل . فإن الأبيات المتضمنة لذكر
الحب والوصول والهجر والقطيعة والشوق والتيم^(٢) والصبر على العذل^(٣)
واللوم ونحو ذلك ، هو قول مجمل ، يشترك فيه محب الرحمن ، ومحب
الأوثان ، ومحب الأخوان ، ومحب الأوطان ، ومحب النساء ، ومحب
المردان ، فقد يكون فيه منفعة إذا هيج القاطن ، وأثار الساكن ، وكان ذلك مما

= سار ذكره في الآفاق ولد في بيت قار سنة ٤٦٧ هـ وتوفي ٥٥٧ هـ [وفيات الأعيان ٣
٢٥٤ ، الأعلام ٤ / ٢٢١].

(١) هو الشيخ الكبير الولي الشهير حياة بن قيس الحراني سكن رحمه الله حران إلى أن
توفي . [انظر شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ج ٤ ص ٢٦٩ وذلك في حديثه عن
سنة إحدى وثمانين وخمسين].

(٢) التيم : هو استيلاء الحب على الإنسان ، والمتييم **الْمُعَبَّدُ الْمُذَلُّ** . وفي قصيدة كعب:
«**مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولٌ**» أي **مُعَبَّدٌ مُذَلُّ** . [انظر لسان العرب ١٢ / ٧٥].

(٣) العذل : الملامة . [مختار الصحاح ص ٤٢١].

يحبه الله ورسوله . لكن فيه مضره راجحة على منفعته : كما في الخمر والميسير ، فإن فيهما إثم كبير ، ومنافع للناس ، وإن ثمها أكبر من نفعهما^(١) .

فلهذا لم تأت به الشريعة ، لم تأت إلا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة .
وأما ما تكون مفسدته غالبة على مصلحته ، فهو بمنزلة من يأخذ درهماً بدينار ، أو يسرق خمسة دراهم ، ويتصدق منها بدرهمين .

وذلك أنه يهيج الوجد المشترك ، فيثير من النفس كوامن تضره آثارها ،
ويغذى النفس ويفتنها ، فتتعاضب به عن سماع القرآن ، حتى لا يبقى فيها محجة
لسماع القرآن ولا التذاذ به ، ولا استطابة له ، بل يبقى في النفس بغض
لذلك ، واشتغال عنه ، كمن شغل نفسه بتعلم التوراة والإنجيل ، وعلوم أهل
الكتاب ، والصابئين واستفادته العلم والحكمة منها ، فأعرض بذلك عن كتاب
الله وسنة رسوله ، إلى أشياء أخرى تطول .

فلما كان هذا السمع لا يعطي نفسه ما يحبه الله ورسوله من الأحوال
والمعارف ، بل قد يصد عن ذلك ، ويعطي ما لا يحبه الله ورسوله ، أو ما
يغضبه الله ورسوله ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا سلف الأمة ولا أعيان
مشائخها .

ومن نكته أن الصوت يؤثر في النفس بحسبه : فتارة يفرح ، وتارة
يحزن ، وتارة يغضب ، وتارة يرضي ، وإذا قوي السكر الروح فتصير في لذة
مطرية من غير تمييز . كما يحصل للنفس إذا سكرت بالرقص ، وللجسد أيضاً
إذا سكر بالطعام والشراب ، فإن السكر هو الطرف الذي يؤثر لذة بلا عقل ، فلا

(١) إشارة للأية القرآنية الكريمة «يسألونك عن الخمر والميسير قل فيهما إثم كبير ومنافع
للناس وإن ثمها أكبر من نفعها» [الأية ٢١٩ من سورة البقرة] .

تقوم منفعته بتلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل ، التي صدت عن ذكر الله وعن الصلاة ، وأوقعت العداوة والبغضاء .

[وجوب الاقتداء بالكتاب والسنّة في كل شيء] :

و « بالجملة » فعل المؤمن أن يعلم : أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وقد حَدَثَ به ، ولا شيئاً يبعد عن النار إلى وقد حدث به ، وأن هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله ، فإن الله يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينًا »^(١) وإذا وجد فيه منفعة لقلبه ، ولم يجد شاهد ذلك ، لا من الكتاب ولا من السنّة ، لم يلتفت إليه .

قال سهل بن عبد الله التستري : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنّة فهو باطل .

وقال أبو سليمان الداراني : إنه لتلم بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين : الكتاب ، والسنّة . وقال أبو سليمان أيضًا : ليس لمن هُم شيئاً من الخير أن يفعله حتى يجد فيه أثراً ، فإذا وجد فيه أثراً كان نوراً على نور .

وقال الجنيد بن محمد : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنّة ، فمن لم يقرأ القرآن ، ولم يكتب الحديث ، لا يصلح له أن يتكلم في علمنا .

« أيضًا » فإن الله يقول في الكتاب « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية »^(٢) قال السلف من الصحابة والتابعين : « المكاء » كالصفير ونحوه ، من التصويت ، مثل الغناء . و « التصدية » : التصفيق باليد . فقد

(١) الآية ٣ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٣٥ من سورة الأنفال .

أخبر الله عن المشركين أنهم كانوا يجعلون التصدية والغناة لهم صلاة ، وعبادة وقربة ، يعتاضون به عن الصلاة التي شرعها الله ورسوله .

[بين سمع المسلمين وسماع المشركين] :

وأما المسلمون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان : فصلاتهم وعبادتهم القرآن ، واستماعه ، والركوع والسجود ، وذكر الله ودعاؤه ، ونحو ذلك مما يحبه الله ورسوله ، فمن اتخذ الغناء والتضليل عبادة وقربة فقد ضاهى^(١) المشركين في ذلك ، وشابههم فيما ليس من فعل المؤمنين : المهاجرين والأنصار ، فإن كان يفعله في بيوت الله فقد زاد في مشابهته أكبر وأكبر ، واشتغل به عن الصلاة وذكر الله ودعائه ، فقد عظمت مشابهته لهم . وصار له كِفْل^(٥) عظيم من الذم الذي دُلّ عليه قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْ الدِّيَنِ إِلَّا مَكَاءً وَتَضْدِيدًا﴾^(٣) .

لكن قد يغفر له ذلك لاجتهاده ، أو لحسناته ماحية ، أو غير ذلك . فيما يفرق فيه [بين] المسلم والكافر . لكن مفارقه للمشركين في غير هذا لا يمنع أن يكون مذموماً خارجاً عن الشريعة ، داخلاً في البدعة التي ضاهى بها المشركين ، فينبغي للمؤمن أن يتفطن لهذا ، ويفرق بين سمع المؤمنين الذي أمر الله به ورسوله ، وسماع المشركين الذي نهى الله عنه ورسوله .

ويعلم أن هذا السمع المحدث هو من جنس سمع المشركين ، وهو إليه أقرب منه إلى سمع المسلمين . وإن كان قد غلط فيه قوم من صالح المسلمين ، فإن الله لا يضيع أجرهم وصلاحهم ، لما وقع من خطئهم ، فإن

(١) ضاهى : أي شابه وشاكل . [لسان العرب ١٤ / ٤٨٧].

(٢) الكِفْل : النصيب . [لسان العرب لابن منظور ١١ / ٥٨٨].

(٣) الآية ٣٥ من سورة الأنفال .

النبي ﷺ قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجرٌ واحد »^(١) .

وهذا كما أن جماعة من السلف قاتلوا أمير المؤمنين علياً بتأويل ،
وعلي بن أبي طالب وأصحابه أولى بالحق منهم ، وقد قال فيهم : من قصد الله
فله الجنة .

وجماعة من السلف والخلف استحلوا بعض الأشربة بتأويل - وقد ثبت
بالكتاب والسنّة تحرير ما استحلوه - وإن كان خطؤهم مغفورة لهم .

والذين حضروا هذا السماع من المشائخ الصالحين شرطوا له شروطاً لا
توجد إلا نادراً ، فعامة هذه السمعاء خارجة عن إجماع المشائخ ، ومع هذا
فأخطأوا - والله يغفر لهم خطأهم فيما خرجوا به عن السنّة - وإن كانوا
معدورين .

والسبب الذي أخطأوا فيه أوقع أمماً كثيرة في المنكر الذي نهوا عنه وليس
للعالمين شرعة ولا منهاج ، ولا شريعة ولا طريقة أكمل من الشريعة التي بعث
الله بها نبيه محمداً - ﷺ - كما كان يقول في خطبته : « خير الكلام كلام الله ،
وخير الهدى هدى محمد ﷺ »^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ج ١٣ ص ٣١٨ ، ومسلم في كتاب الأقضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج ٣ ص ١٣٤٢ ، وأبو داود في كتاب الأقضية باب في القاضي يخطيء ج ٤ ص ٦ ، وابن ماجة في كتاب الأحكام ، باب الحاكم يجتهد فيصيّب الحق ج ٢ ص ٧٧٦ ، والنسائي في كتاب الأقضية باب الإصابة في الحكم ج ٨ ص ٢٢٤ ، وأحمد في مستنهج ٤ ص ١٩٨ .

(٢) الحديث رواه مسلم في كتاب الجمعة بباب تخفيف الصلاة والخطبة ج ٢ ص ٥٩٢ ،
وابن ماجة ، في المقدمة باب اجتناب البدع والجدل مع اختلاف يسirج ١ ص ١٧ ،
وأحمد في مستنهج ٣ ص ٣١٠ مع اختلاف يسirج .

[غلط من ظن أن النبي والصحابة والتابعين حضروا سماع المكاء والتصدية] :

ومن غلط بعضهم توهّمه أن النبي ﷺ والصحابة والتابعين حضروا هذا السماع، سماع المكاء والتصدية، والغناء والتصفيق بالأكف، حتى روى بعض الكاذبين أنَّ النبي ﷺ أنسدَهُ أعرابي شعراً. قوله:

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
سوى الحبيب الذي شغفت به فمنه دائني ومنه ترياقني
وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه ، وقال : « ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر المحبوب »^(١) . وهذا الحديث كذب بإجماع العارفين بسيرة رسول الله ﷺ ، وستته وأحواله .

كما كذب بعض الكاذبين : أنَّ أهل الصفة قاتلوا المؤمنين مع المشركين^(٢) ، وأمثال هذه الأمور المكذوبة إنما يُكذِّبُها من خرج عن أمر الله ورسوله ، وأطْبَقَتْ عليه طوائفُ من الجاهلين بأحوال الرسول وأصحابه ؛ بل بأصول الإسلام .

[حكم الرقص] :

وأما « الرقص » فلم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا أحد من الأئمة بل قد قال الله في كتابه : « وَاقِصِدْ فِي مُشِيكٍ »^(٣) وقال في كتابه : « وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنًا »^(٤) أي : بسکينة ، ووقار .

(١) سبق تخریج هذا الحديث ص ١٥.

(٢) سبق تخریجه ص ١٦.

(٣) الآية ١٩ من سورة لقمان.

(٤) الآية ٦٣ من سورة الفرقان.

[عبادة المسلمين الركوع والسجود] :

وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود : بل الدف والرقص في الطابق
لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا أحد من سلف الأمة : بل أمروا بالقرآن في
الصلاه ، والسكينة . ولو ورد على الإنسان حال يغلب فيها حتى يخرج إلى حالة
خارجية عن المشروع ، وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن ونحوه ،
سلم إليه ذلك الحال كما تقدم ، فاما إذا تكلف من الأسباب ما لم يؤمر به ، مع
علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له : مثل شرب الخمر ، مع علمه أنها تسكره ،
وإذا قال : ورد على الحال ، وأنا سكران قيل له : إذا كان السبب محظوظاً ،
لم يكن السكران معدوراً .

فهذه الأحوال الفاسدة من كان فيها صادقاً فهو مبتدع ، ضال ، من جنس
خفراء^(١) العدو ، وأعوان الظلمة ، من ذوي الأحوال الفاسدة الذين ضارعوا
عباد النصارى ، والمشركين ، والصابئين . في بعض ما لهم من الأحوال ومن
كان كاذباً فهو منافق ضال .

[حث الفضيل على الإخلاص واتباع السنة] :

قال سيد المسلمين في وقته - الفضيل بن عياض -^(٢) في قوله تعالى :
« ليلوكم أياكم أحسن عملاً »^(٣) وقال : أخلصه ، وأصوبيه . قيل له : يا أبا
علي ما أخلصه ؟ وأصوبي ؟ . قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً
لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً
صواباً . والخاص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

(١) خفراء: أي مُجبرون . [انظر لسان العرب ٤ / ٢٥٣].

(٢) انظر ترجمته ص ٢٢ من هذا الكتاب .

(٣) الآية ٧ من سورة هود والآية ٢ من سورة الملك .

وكان يقول : من وَقَر صاحب بدعة فقد أَعْنَى على هدم الإسلام ، ومن زوج كريمه لصاحب بدعة فقد قطع رحمها ، ومن انتهر صاحب بدعة ملأ الله قَلْبَهُ أَمْنًا وإيمانًا . وأكثر إشارته وإشارات غيره من المشائخ بالبدعة إنما هي إلى البدع في العبادات والأحوال ، كما قال عن النصارى «ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»^(١) وقال ابن مسعود : «عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خالياً فاقشعر جلده ، من مخافة الله ، إلا تhattت عنه خطاياه كما يتحاث الورق اليابس عن الشجرة ، وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خالياً فدمعت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبداً ، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة . فاحرصوا أن تكون أعمالكم - إن كانت اجتهاداً أو اقتصاداً - على منهاج الأنبياء وستتهم»^(٢) .

وأما قول القائل : هذه شبكة يصاد بها العوام .

فقد صدق ، فإن أكثرهم إنما يتخذون ذلك شبكة لأجل الطعام ، والتوانس على الطعام . كما قال الله فيهم : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهَبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣) ومن فعل هذا فهو من أئمة الضلال ، الذين قيل في رؤوسهم : «يَوْمَ تُقْلَبُ وجوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ : يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهُ وَأَطْعَنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا : رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا . رَبَّنَا آتَهُمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا»^(٤) .

(١) الآية ٢٧ من سورة الحديد.

(٢) انظر كنز العمال للهندي ج ١ ص ٣٨٢ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ٢٥٣ وقد نُسب هذا الأثر فيما لأبي بن كعب.

(٣) الآية ٣٤ من سورة التوبة.

(٤) الآيات ٦٦ - ٦٨ من سورة الأحزاب.

وأما الصادقون منهم : فهم يَتَّخِذُونَه شبَّة ، لكن هي شبَّة محرقة يخرج منها الصيد إذا دخل فيها ، كما هو الواقع كثيراً ؛ فإنَّ الذين دخلوا في السَّمَاعِ الْمُبَدِّعِ فِي الطَّرِيقِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعْهُمْ أَصْلٌ شَرِعيٌ شَرِيعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، أورثتهم أحوالاً فاسدة^(١) .

وإلى عبادته ومحبته . وطاعته ، والرغبة إليه ، والتبتل له والتوكيل عليه أحسن من^(٢) الإسلامية . والشريعة القرآنية ، والمناهج^(٣) الموصولة الحقيقة الجامعة لمصالح الدنيا والآخرة .

وإذا كان غير مشروع ، ولا مأموراً به ، فالظهور ، أو الإنصات له ، واستفتاح باب الرحمة هو من جنس عادة الرهبان ، ليس من عبادة أهل الإسلام ، والإيمان ، ولا عبادة أهل القرآن ، ولا من أهل السنة والإحسان . والحمد لله وحده .

[سؤال من يُحلل السَّمَاعَ لِنَفْسِهِ وَيَحْرِمُهُ عَلَى غَيْرِهِ] :

سُئِلَ عَنْ قَالَ : إِنَّ السَّمَاعَ عَلَى النَّاسِ حَرَامٌ وَعَلَيْهِ حَلَالٌ هَلْ يُفْسِدُ فِي ذَلِكَ أَمْ لَا ؟

[الإِجَابَةُ] :

فأجاب - رضي الله عنه - من أدعى أن المحرمات تحريراً عاماً : كالغواحش ، والظلم ، والملاهي ، حرام على الناس حلال له فإنه يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل ، ومن ادعى في الدفوف والشباب أنهما حرام على بعض الناس دون بعض فهذا مخالف للسنة ، والإجماع ، وأئمة الدين ، وهو ضال من الضلال . ومن تم مُصِراً على مثل ذلك كان فاسقاً ، والله أعلم .

(١) بياض بالأصل . [من هامش مجموع الفتاوى ٦٠١ / ١١].

(٢) بياض بالأصل . [من هامش مجموع الفتاوى ٦٠١ / ١١].

(٣) بياض بالأصل . [من هامش مجموع الفتاوى ٦٠١ / ١١].

[لا يجوز السجود لغير الله] :

سُئلَ عن أقوامٍ يرقصون على الغناء بالدف ، ثم يسجد بعضهم البعض على وجه التواضع . هل هذا سنة ؟ أو فعله الشيوخ الصالحون ؟ .

الجواب : لا يجوز السجود لغير الله ، واتخاذ الضرب بالدف والغناء والرقص عبادة من البدع التي لم يفعلها سلف الأمة ، ولا أكابر شيوخها : كالفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان الداراني ومعرفة الكرخي ، والسرى السقطي ، وغير هؤلاء .

وكذلك أكابر الشيوخ المتأخرین مثل : الشيخ عبد القادر^(۱) . والشيخ عدي^(۲) ، والشيخ أبي مدين^(۳) ، والشيخ أبي البيان^(۴) ، وغير هؤلاء . فإنهم لم يحضروا « السماع البدعي » بل كانوا يحضرون « السماع الشرعي » سماع الأنبياء ، وأتباعهم . كسماع القرآن . والله أعلم .

(۱) سبقت ترجمته ص ۲۳.

(۲) سبقت ترجمته ص ۴۶.

(۳) هو شعيب بن الحسين الأندلسي من ناحية أشبيلية ، أبو مدين : صوفي من مشاهيرهم أقام بفاس وسكن بجاية وكثير اتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور توفي بتلمسان سنة ۵۹۴ هـ وقد قارب الثمانين أو تجاوزها . [انظر ترجمته في عنوان الدارية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية ص ۲۲ - ۳۲ ، والأعلام ج ۳ ص ۱۶۶] .

(۴) سبقت ترجمته ص ۲۳.

[سؤال] :

سُئلَ شِيْخُ الْإِسْلَامِ عَنْ رَجُلٍ يُحِبُّ السَّمَاعَ وَالرَّقْصَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ رَجُلٌ . فَقَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

فَعَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ سَلَامُ
وَالزَّمِ الشرع فَالسَّمَاعُ حَرامٌ
عِنْدَ قَوْمٍ أَحْوَالُهُمْ لَا تَلِمُ
جَانِبَ الطُّورِ جَذْوَةٌ وَكَلامٌ
فَحرَامٌ عَلَى الْجَمِيعِ حَرامٌ

أَنْكَرُوا رَقْصًا وَقَالُوا حَرامٌ
أَعْبَدُ اللَّهَ يَا فَقِيهً، وَصَلَّى
بَلْ حَرامٌ عَلَيْكَ، ثُمَّ حَلَّ
مُثْلُ قَوْمٍ صَفَوا وَبَيَانُهُمْ مِنْ
فَإِذَا قُوِيلَ السَّمَاعُ بِلَهِ

[الإِجَابَةُ] :

فَأَجَابَ ؛ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَهَذَا الشِّعْرُ يَتَضَمَّنُ مِنْكَرًا مِنَ القَوْلِ
وَزُورًا؛ بَلْ أَوْلَهُ يَتَضَمَّنُ مِخَالِفَةً لِلشَّرِيعَةِ، وَآخِرُهُ يَفْتَحُ بَابَ الزِّنَدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ،
وَالْمِخَالِفَةُ لِلْحَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ الدِّينِيَّةِ النَّبُوَيَّةِ . وَذَلِكَ أَنْ قَوْلَ الْقَائِلِ :

مُثْلُ قَوْمٍ صَفَوا وَبَيَانُهُمْ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ جَذْوَةٌ كَلامٌ
يَتَضَمَّنُ تَمْثِيلَ هَؤُلَاءِ بِمُوسَى بْنِ عُمَرَانَ ، الَّذِي نُودِيَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ .
وَلَمَّا رَأَى النَّارَ ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ : إِمْكُنُوا ، إِنِّي آتَيْتُكُمْ نَارًا ، لَعَلِيَّ آتِيَكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ
أَوْ جَذْوَةً﴾ مِنَ النَّارِ لِعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾^(٣).

[أَصْنَافُ مَنْ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَخْاطِبُهُمْ] :

وَهَذَا قَوْلٌ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ ، يَسْلُكُونَ طَرِيقَ الرِّيَاضَةِ وَالتَّصْفِيَّةِ . وَيَظْنُونَ
أَنَّهُمْ بِذَلِكَ يَصْلُونَ إِلَى أَنْ يَخْاطِبُوهُمُ اللَّهُ ، كَمَا خَاطَبَ مُوسَى بْنَ عُمَرَانَ ،
وَهُؤُلَاءِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ :

(١) آتَيْتُ : أَيْ أَبْصَرْتُ بِوْضُوحٍ .

(٢) جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ : عُودٌ فِي نَارٍ بِلَا لَهِبٍ .

(٣) الآيَةُ ٢٩ مِنْ سُورَةِ الْقَصْصِ .

[الصنف الأول] :

«صنف» يزعمون أنهم يخاطبون بأعظم مما خطب به موسى بن عمران . كما يقول ذلك من يقول من أهل الوحدة والاتحاد . القائلين بأن الوجود واحد . كصاحب «الفصوص»^(١) وأمثاله .

فإن هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الأنبياء ، وأن الخطاب الذي يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل لإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ومعلوم أن هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى ، الذين يفضلون الأنبياء على غيرهم ، لكن يؤمنون ببعض الأنبياء ، ويكررون بعض .

[الصنف الثاني] :

و « النوع الثاني » من يقول إن الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران ، كما يقول ذلك من يقوله من المتكلمين والمتصوفة ، الذين يقولون : إن تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال ، ويقولون : إن النبوة مكتسبة .

[الصنف الثالث] :

و « النوع الثالث » : الذين يقولون : إن موسى أفضل ، لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى ؛ ولكن موسى مقصود بالتكليم دون هذا ، كما يوجد هذا في أخبار صاحب «مشكاة الأنوار»^(٢) ، وكذلك سلك مسلكه صاحب «خلع النعلين»^(٣) ، وأمثالهما .

(١) هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي صاحب كتاب فصوص الحكم المعروف بابن عربي) مات سنة ٦٣٨ هـ [ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ج ٣ ص ٦٥٩].

(٢) انظر كشف الظنون ج ٤ ص ٤٨٧ .

(٣) هو أبو القاسم أحمد بن قسي الأندلسي المتوفي سنة ٥٤٥ هـ صاحب كتاب «خلع النعلين في الوصول إلى حضرة الجميين » وهو كتاب مختصر شرحه ابن عربي والشيخ عبدي شارح الفصوص [انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ج ١ ص ٧٢٢].

[حكم من ادعى أن له طریقاً یوصله لرضوان الله غير الشريعة] :

وأما قوله في أول الشعر لمن يخاطبه : « الزم الشرع يا فقيه وصل ».
شعر بأنك أنت تبع الشرع ، وأما نحن فلنا إلى الله طريق غير الشرع ، ومن
ادعى أن له طریقاً إلى الله یوصله إلى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة
التي بعث الله بها رسوله ، فإنه أيضاً كافر ، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه :
كتائفة اسقطوا التکلیف ، وزعموا أن العبد يصل إلى الله بلا متابعة الرسل .

و « طائفة » یظنون أن الخواص من الأولياء يستغنون عن متابعة محمد ﷺ
كما استغنى الخضر عن متابعة موسى ، وجهل هؤلاء أن موسى لم يكن مبعوثاً
إلى الخضر . ومحمد ﷺ رسول إلى كل أحد ظاهراً وباطناً ، مع أن قضية
الخضر لم تخالف شريعة موسى ؛ بل وافقتها ، ولكن الأسباب المبيحة لل فعل
لم يكن موسى علّمها ، فلما علمها تبين أن الأفعال توافق شريعته لا تخالفها .

[الذين یظہرون الإشارات ليسوا من أولياء الله] :

**وَسُئِلَ عن الذين یعملون النار والإشارات مثل
النبل والزعفران . وغير ذلك ؟ .**

فأجاب : أما هؤلاء الذين یظہرون « الإشارات » كالنبل والزعفران
والمسك ، والنار ، والجبة . فليسوا من أولياء الله الصالحين : بل هم من
أحزاب الشياطين ، وأحوالهم شيطانية ليست من كرامات الصالحين ، وهم
يفسدون العقول ، والأديان ، والأعراض ، والنساء ، والصبيان . ولا يحسن
الظن بهم إلا جاهل عظيم الجهالة ، أو عدو الله ورسوله ، فإنهم من جنس التتر
المحاربين لله ورسوله . والله أعلم .

[سؤال عن أكل الخبائث والحيات والعقارب] :

سُئلَ عن رجل فلاح لم يعلم دينه ولا صلاته ، وإن في بلده شيخاً أعطاه إجازة ، وبقي يأكل الثعابين والعقارب ، ونزل عن فلاحته ، ويطلب رزقه . فهل تجوز الصدقة عليه أم لا؟؟؟ .

[الإجابة] :

فأجاب : الحمد لله . أكلُّ الخبائث . وأكلُّ الحيات والعقارب حرامٌ ياجماع المسلمين . فمن أكلَّها مُستحلاً لذلك فإنه يُستتاب ، فإنْ تاب وإنْ قُتل . ومن اعتقد التحرير وأكلَّها فإنه فاسق عاصٍ لله ورسوله فكيف يكون رجلاً صالحًا؟ ولو ذكرى الحياة لكان أكلها بعد ذلك حرام عند جماهير العلماء ؛ لأن النبي - ﷺ - قال : «خمس فواقس يقتلن في الحل والحرم : الحياة ، والعقرب ، والحدأة ، والفارة ، والكلب العقور»^(١) .

فأمر النبي - ﷺ - بقتل ذلك في الحل والحرم ، وسماهن فواقس ؛ لأنهن يفسدن : أي يخرجن على الناس ، ويعتدبن عليهم ، فلا يمكن الاحتراز منها ، كما لا يحترز من السباع العادية ، فيكون عدوان هذا أعظم من عدوان كل ذي ناب من السباع ، وهن أخبث وأحرم .

[ذكر المخاريق التي يفعلها المبتدعون ووجوب الحذر منها] :

وأما الذين يأكلون ويجعلون ذلك من باب «كرامات الأولياء» فهم أشر حالاً من يأكلها من الفساق ؛ لأن كرامات الأولياء لا تكون بما نهى الله عنه ورسوله ، من أكل الخبائث ، كما لا تكون بترك الواجبات ، وإنما هذه

(١) الحديث أخرجه : البخاري في كتاب جزاء الصيد بباب ما يقتل المحرم من الدواب ج ٤ ص ٣٤ ، ومسلم في كتاب الحج بباب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرام ج ٢ ص ٨٥٦ ، وأبو داود في كتاب المناسك بباب ما يقتل المحرم من الدواب ج ٢ ص ٤٢٤ ، والترمذمي في كتاب الحج بباب ما يقتل المحرم من الدواب ج ٣ ص

المخاريق التي يفعلها هؤلاء المبتدعون : من الدخول في النار ، وأخذ
الحيات ، وإخراج اللاذن^(١) ، والسكر ، والدم وماء الورد . هي نوعان :

« أحدهما » أن يفعلوا ذلك بحيل طبية . مثل أدهان معروفة ، يذهبون
ويمشون في [النار] ومثل ما يشربه أحدهم مما يمنع سم الحياة : مثل أن
يمسكتها بعنقها حتى لا تضره ، ومثل أن يمسك الحياة المائية ، ومثل أن
يسليخ جلد الحياة ويحشوه طعاماً ، وكم قتلت الحياة من أتباع هؤلاء ؟ ! ومثل
أن يمسح جلده بدم أخيه : فإذا عرق في السماع ظهر منه ما يشبه الدم ،
ويصنع لهم أنواعاً من الحيل والمخادعات .

« النوع الثاني » وهم أعظم : عندهم أحوال شيطانية تعتبر لهم عند
السماع الشيطاني ، فتنزل الشياطين عليهم ، كما تدخل في بدن المتصروع
ويزيد أحدهم كما يزيد المصروع ، وحيثما يباشر النار ، والحيات ،
والعقاب ، ويكون الشيطان هو الذي يفعل ذلك ، كما يفعل ذلك من تقرن
بهم الشياطين من إخوانهم ، الذين هم شر الخلق عند الناس ، من الطائفة التي
تطلبهم الناس لعلاج المصروع ، وهو من شر الخلق عند الناس ، فإذا طلبوا
تحلوا بحلية المقاتلة ، ويدخل فيهم الجن ، فيحارب مثل الجن الداخل في
المصروع ، ويسمع الناس أصواتاً ، ويرون حجارة يرمي بها ، ولا يرون من
يفعل ذلك ، ويرى الإنساني واقفاً على رأس الرمح الطويل . وإنما الواقع هو

= ١٨٨ وقال : « حديث حسن صحيح » وابن ماجة في كتاب المناسب بباب ما يقتل
المحرم ج ٢ ص ١٠٣١ ، والنسائي ج ٢ ص ١٨٨ ، والدارمي ج ٢ ص ٣٧ ، ومالك في
الموطأ ح ١ ص ٣٥٧ ، وأحمد في مستنه ج ٦ ص ٣٣ ، ومعنى الكلب العقور : أي
الجارح .

(١) اللاذن واللاذنة من العلوك وقيل هو دواء بالفارسية [انظر لسان العرب لابن منظور ١٣
[٣٨٥ /

الشيطان ، ويرى الناس ناراً تحمى . ويوضع فيها الفؤوس والمساحي^(١) ، ثم إن الإِنسِي يلحسها بلسانه ، وإنما يفعل ذلك الشيطان الذي دخل فيه ، ويرى الناس هؤلاء يباشرون الحيات والأفاعي وغير ذلك ، ويفعلون من الأمور ما هو أبلغ مما يفعله هؤلاء المبتدعون الضاللون المكذبون الملبسون ، الذين يَدُعون أنهم أولياء الله ، وإنما هم من أعدائه ، المضيغين لفريائضه ، المتعدين لحدوده .

والجُهَّال لأجل هذه الأحوال الشيطانية ، والطبيعة ، يظنونهم أولياء الله ؛ وإنما هذه الأحوال من جنس أحوال أعداء الله الكافرين ؛ والفاسين . ولا يجوز أن يعan من هؤلاء على ترك المأمور ، ولا فعل المحظور ، ولا إقامة مشيخة تحالف الكتاب والسنة ، ولا أن يعطي رزقه على مشيخة يخرج بها من طاعة الله ورسوله ، وإنما يعan بالأرزاق من قام بطاعة الله ورسوله ، ودعا إلى طاعة الله ورسوله والله أعلم .

[عبادة الله بالطرق الشرعية] :

وَسُئِلَ عن رجل منقطع في بيته لا يخرج ولا يدخل ، ويصلِّي في بيته ولا يشهد الجماعة ، وإذا خرج إلى الجماعة يخرج مغطى الوجه ، ثم إنه يخترع العياط من غير سبب ، وتجتمع عنده الرجال والنساء . فهل يسلم له حاله ؟ أو يجب الإنكار عليه ؟

فأجاب : هذه الطريقة طريقة بدعية ، مخالفة لكتاب والسنة ، ولما أجمع عليه المسلمون . والله تعالى إنما يعبد بما شرع ، لا يعبد بالبدع . قال الله تعالى : « أَمْ لَهُمْ شَرَكَاءْ شَرَعُوا لَهُمْ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ ؟ »^(٢) فإن

(١) المساحي حمع مسحاه وهي كال مجرفة إلا أنها من حديد [مختار الصحاح ص ٢٨٩] .

= (٢) الآية ٢١ من سورة الشورى .

العبد بترك الجمعة والجماعة ، بحيث يرى أن تركهما أفضل من شهودهما مطلقاً كفر ، يجب أن يستتاب صاحبه منه ، فإن تاب إلا قتل ، فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن لا يعبد بترك الجمعة والجماعة ، بل يعبد بفعل الجمعة والجماعة ، ومن جعل الانقطاع عن ذلك ديناً لم يكن على دين المسلمين ، بل يكون من جنس الرهبان الذين يتخلون بالصوماع والديارات ، والواحد من هؤلاء قد يحصل له بسبب الرياضة ، أو الشياطين - بتقريبه إليهم ، أو غير ذلك - نوع كشف ، وذلك لا يفيده؛ بل هو كافر بالله ورسوله محمد ﷺ .

والله تعالى أمر الخلق أن يعبدوه وحده لا يشركون به شيئاً ، ويعبدوه بما شرع ، وأمر أن لا يعبدوه بغير ذلك . قال تعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَا يَعْمَلْ صَالِحًا وَلَا يَشْرُكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »^(١) وقال تعالى : « لِيَلْبِلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا »^(٢) .

[الرياء يبطل العمل] :

فالسالك طريق الزهادة والعبادة إذا كان كثيراً للشريعة في الظاهر ، وقصد الرياء والسمعة ، وتعظيم الناس له كان عمله باطللاً لا يقبله الله . كما ثبت في الصحيح أن الله يقول : « أَنَا أَغْنِي الشَّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بُرِيءٌ . وَهُوَ كَلِهِ لِلَّذِي أَشْرَكَ »^(٣) وفي الصحيح عنه أنه قال :

(١) الآية ١١٠ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٧ من سورة هود والآية ٢ من سورة الملك .

(٣) الحديث أخرجه : مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله ج ٤ ص ٢٢٨٩ ، وابن ماجه في كتاب الزهد بباب الرياء والسمعة ج ٢ ص ١٤٥٥ قال في الرواية : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٠١ ولفظه « أَنَا خَيْرُ الشَّرَكَاءِ مَنْ عَمِلَ .. » الحديث ، وقد روى نحوه الترمذى في أبواب التفسير حديث رقم ٣١٥٤ وقال : « هَذَا حَدِيثُ حَسْنٍ غَرِيبٍ لَا نَعْرَفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ بْنِ بَكْرٍ » .

«من سمع سمع الله به ، ومن رأى رأى الله به»^(١) .

[الاتباع شرط في صحة العبادات] :

وإن كان خالصاً في نيته لكنه يتبع بغير العبادات المشروعة : مثل الذي يصمت دائماً، أو يقوم في الشمس، أو على السطح دائماً، أو يتعرى من الثياب دائماً ، ويلازم لبس الصوف ، أو لبس الليف ، ونحوه أو يغطي وجهه ، أو يمتنع من أكل الخبز، أو اللحم، أو شرب الماء، ونحو ذلك - كانت هذه العبادات باطلة، ومردودة، كما ثبت في الصحيح عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٢) . وفي رواية : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٣) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس «أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال : من هذا؟ قالوا : هذا أبو إسرائيل»^(٤) نذر الصمت ، والقيام والبروز للشمس مع الصوم . فامره

(١) الحديث أخرجه: البخاري في كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة ج ١١ ص ٣٣٦ ، ومسلم في كتاب الزهد باب من أشرك في عمله غير الله ج ٤ ص ٢٢٨٩ ، والترمذني في كتاب الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة ج ٤ ص ٥٩١ وقال: «هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه» ، وابن ماجة في كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ج ٢ ص ١٤٠٧ ، وأحمد في مسنده ج ٥ ص ٤٥ .

(٢) الحديث رواه: البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ج ٥ ص ٣٠١ ، ومسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ج ٣ ص ١٣٤٣ ، وأبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ج ٥ ص ١٢ ، وابن ماجة في المقدمة ج ١ ص ٧ وأحمد في المستند ج ٦ ص ٢٧٠ .

(٣) أورده البخاري في كتاب الاعتصام باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فاختطا.. الخ ج ١٣ ص ٣١٧ ، ورواه مسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ج ٣ ص ١٣٤٤ ، وأحمد في مسنده ج ٦ ص ١٤٦ .

(٤) هو أبو إسرائيل الأنباري أو القرشي العامري ذكره البغوي وغيره في الصحابة وقيل اسمه يسير وقيل قشير [الإصابة ٤/٦].

النبي - ﷺ - بالصوم وحده «^(١) لأن عبادة يحبها الله تعالى ، [وما عداه ليس بعبادة] وإن ظنها الظأن تقربه إلى الله تعالى . وثبت عنه ﷺ أنه كان يقول في خطبته : « إِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدِيَّ هَدِيٌّ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مَحْدُثَاتُهَا ، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالٌ »^(٢)

وبيت عنه في الصحيح « أَنَّ قَوْمًا مِّنْ أَصْحَابِهِ قَالُوا لَهُمْ : أَمَا أَنَا فَأَصُومُ ، وَلَا أَفْطَرُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَمَا أَنَا فَأَقُومُ ، وَلَا أَنَامُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَمَا أَنَا فَلَا أَتَزَوْجُ النِّسَاءَ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَمَا أَنَا فَلَا أَكُلُ اللَّحْمَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا بَالْرِجَالِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ : كَيْتُ وَكَيْتُ ! وَلَكِنِي أَصُومُ وَأَفْطَرُ ، وَأَنَامُ ، وَأَتَزَوْجُ النِّسَاءَ ، وَأَكُلُ اللَّحْمَ ، فَمَنْ رَغَبَ عَنْ سُنْتِي فَلَيْسَ مِنِّي »^(٣) . فإذا كان هذا فيما هو جنسه عبادة ؛ فإن الصوم والصلوة جنسها عبادة ، وترك اللحم والتزويج

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والندور بباب النذر فيما لا يملك معصية ج ١١ ص ٥٨٦ ولفظ الحديث عند البخاري : « بَيْنَ النَّبِيِّ وَهُنَّ يَخْطُبُ إِذَا بَرَجَ قَائِمٌ فَسَأَلَهُ قَالُوا : أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا يَتَكَلَّمَ ، وَيَصُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ (مَرَهُ فَلَيَتَكَلَّمُ وَلَيَسْتَظِلُّ وَلَيَقْعُدُ وَلَيَتَبَرَّأَ مِنْ صَوْمِهِ) . وَرَوَاهُ بْنُ حُوَيْهَ أَبُو دَاوُدُ فِي كِتَابِ الْأَيْمَانِ وَالنَّذَارَةِ بَابَ مِنْ رَأْيِهِ كَفَارَةً إِذَا كَانَ فِي مَعْصِيَةِ ج ٣ ص ٥٩٩ وَابْنِ مَاجَةَ فِي كِتَابِ الْكَفَارَاتِ ج ١ ص ٦٩ وَقَالَ فِيهِ : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ بَرَجٍ .. الْخُ » وَأَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ ج ٤ ص ١٦٨ .

(٢) الحديث رواه مسلم في كتاب الجمعة بباب تحريف الصلاة والخطبة ج ٢ ص ٥٩٢ ، وأبو داود في كتاب السنة بباب في لزوم السنة، ج ٥ ص ١٥ مع اختلاف في اللفظ، وابن ماجة في المقدمة بباب اجتناب البدع والجدل ١ ص ١٧ والدارمي في المقدمة بباب اتباع السنة ج ١ ص ٤٥ وأحمد في مسنده ج ٣ ص ٣١٠ .

(٣) أخرجه : البخاري في كتاب النكاح بباب الترغيب في النكاح ج ٩ ص ١٠٤ مع اختلاف يسير ، ومسلم في كتاب النكاح بباب استجيبات النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مونة .. الْخُ ج ٢ ص ١٠٢٠ ، والنسائي في كتاب النكاح بباب النهي عن التبليج ج ٦ ص ٦٠ ، والدارمي في كتاب النكاح بباب النهي عن التبليج ج ٢ ص ١٣٣ ، وأحمد في مسنده ج ٢ ص ١٥٨ .

جائز ، لكن لما خرج في ذلك من السنة فال Zimmerman القدر الزائد على المشروع ، والالتزام هذا ترك المباح ، كما يفعل الرهبان ، تبرأ النبي ﷺ من فعل ذلك ، حيث رغب عن سنته إلى خلافها ، وقال : « لا رهبانية في الإسلام »^(١) فكيف بمن يرغب عما هو من أعظم شعائر الإسلام ، وهو الصلاة في الجمعة ، والجماعات ؟ ! .

[حكم تارك الجمعة والجماعة] :

وقد روی عن ابن عباس أنهم سأله غير مرة : عمن يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يشهد جماعة ، ولا جماعة . فقال : « هو في النار » . وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « ليتهما أقوام عن ودعهم^(٢) الجماعات ، أو ليطعن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين »^(٣) وقال : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر طبع الله على قلبه »^(٤) وفي الصحيح والسنن : « إن

(٤) أورده العجلوني في كشف الخفاء ج ٢ ص ٥١٠ وقال : قال ابن حجر لم أره بهذا اللفظ لكن في حديث سعد بن أبي وقاص عند البيهقي إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحاء ، وروى عبد الرزاق عن طاوس مرسلاً : « لا خзам ولا زمام ولا سياحة ولا تبتل ولا ترهب في الإسلام » انظر الجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ٢٠٣ وشرح السنة للبغوي ج ٢ ص ٣٧١ .

(٢) ودعهم : أي تركهم .

(٢) والحديث رواه : مسلم في كتاب الجمعة باب التغليظ في ترك الجمعة ج ٢ ص ٥٩١ ، والنسائي في كتاب الجمعة باب التشديد في التخلف عن الجمعة ج ٣ ص ٨٨ ، وابن ماجة في كتاب المساجد باب التغليظ في التخلف عن الجمعة ج ١ ص ٢٦٠ ، والدارمي في كتاب الصلاة باب فمن يترك الجمعة بغير عذر ١ ص ٣٦٩ ، وأحمد في مستنه ج ٢ ص ٨٤ .

(٣) الحديث رواه : أبو داود في كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجمعة ج ١ ص ٦٣٨ ، والترمذى في كتاب الجمعة باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر ج ٢ ص ٣٧٣ =

أعمى قال : يا رسول الله ! إن لي قائداً لا يلائمني ، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي قال : هل تسمع النداء ؟ قال : نعم ، قال : فأجب »^(١) . وفي رواية قال : « لا أجد لك رخصة »^(٢) .

و « الجمعة » فريضة باتفاق الأئمة .

و « الجمعة » واجبة أيضاً ، عند كثير من العلماء ، بل عند أكثر السلف ، وهل هي شرط في صحة الصلاة على قولين : أقوالهما كما في سنن أبي داود عن النبي ﷺ أنه قال : « من سمع النداء فلم يجب من غير عذر فلا صلاة له »^(٣) .

= وقال : « حديث أبي الجعد حديث حسن » والنسائي في كتاب الجمعة باب التشديد في التخلف عن الجمعة ج ٣ ص ٨٨ ، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة باب فمن ترك الجمعة من غير عذر ج ١ ص ٣٥٧ ، والدارمي في كتاب الصلاة باب فمن يترك الجمعة من غير عذر ج ١ ص ٣٦٩ ، ومالك في الموطأ كتاب الجمعة باب القراءة في صلاة الجمعة ومن تركها بغير عذر ج ١ ص ١١١ ، وأحمد في مسنده ج ٣ ص ٤٢٤ ، ورواه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٨٠ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجا ».

(١) رواه مسلم مع اختلاف يسير في كتاب المساجد وموضع الصلاة باب ما يجب من إيتان المسجد على من سمع النداء ج ١ ص ٤٥٢ ، والنسائي في كتاب الصلاة باب المحافظة على الصلوات حيث ينادي بهن ج ٢ ص ١٠٩ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب في التشديد في ترك الجمعة ج ١ ص ٣٧٤ ، وابن ماجة في كتاب المساجد باب التغليظ في التخلف عن الجمعة ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) لفظ الحديث في سنن أبي داود « من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر - قالوا : وما العذر ؟ قال : خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التي صلى ». انتظر سنن أبي داود ج ١ ص ٣٧٤ ، وروايه ابن ماجة في كتاب المساجد باب التغليظ في التخلف عن الجمعة ج ١ ص ٢٦٠ ، والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٤٦ ، وأورده الهندي في كنز العمال

: ٦٩٩ .

وعند طائفة من العلماء : أنها واجبة على الكفاية .

[فضل صلاة الجمعة] :

و« أحد الأقوال » أنها سنة مؤكدة ، ولا نزاع بين العلماء أن صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته وحده خمساً وعشرين ضعفاً ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ^(١) . ولا نزاع بينهم أن من جعل صلاته وحده أفضل من صلاة في جماعة فإنه ضال مُبتدع ، مُخالف لدين المسلمين .

[وجوب الابتعاد عن البدع] :

وهذه البدع يُدْنِمُ أصحابها ، ويعرف أن الله لا يتقبلها ، وإن كان قصدهم بها العبادة ، كما أنه لا يقبل عبادة الرهبان ، ونحوهم ممن يجتهدون في الزهد والعبادة لأنهم لم يعبدوه بما شرع ؛ بل ببدعة ابتدعواها ، كما قال : « ورهبانية ابتدعواها »^(٢) فإنَّ المتبع بهذه البدع قصده أن يعظم ويزار ، وهذا عمله ليس خالصاً لله ، ولا صواباً على السنة ، بل هو كما يقال : زغل^(٣) ، وناقص ، بمنزلة لحم خنزير ميت ؛ حرام من وجهين .

[الدين كله لله] :

والواجب على كل مسلم التزام عبادة الله وحده لا شريك له ، وطاعة رسوله ، والأمر بذلك لكل أحد ، والنهي عن ضد ذلك لكل أحد ، والانكار على من يخرج عن ذلك ، ولو طار في الهواء ، ومشى على الماء ، وليس تحت أديم السماء^(٤) أحد يقر على خلاف ما جاء به رسول الله ﷺ ؛ بل إن كان

(١) حيث قال ﷺ : « صلاة الجمعة تفضل صلاة الفذ بسبعين وعشرين درجة » رواه البخاري ١٣١ / ٢ ، ومسلم ١ / ٤٥٠ وغيرهما.

(٢) الآية ٢٧ من سورة الحديد.

(٣) في لسان العرب (١١ / ٣٠٤) زغل الشيء زغلاً وأزغله : صيحة دفعاً ومحنة .

(٤) أديم السماء : أي ما ظهر منها [ترتيب القاموس للزاوي ١ / ١٢٣].

مقرأً بالإسلام ألزمـه بطاعة الرسول ، وإتباع سنته الواجبة ، وشرعيـته الـهـادـية ، وإن كان غير مـقـرـ بـالـإـسـلـامـ كانـ كـافـراً ، ولو كانـ لهـ منـ الزـهـدـ والـرهـبـانـ ماـذاـ عـسـىـ أنـ يـكـونـ .

والكافـرـ إنـ كانـ منـ أـهـلـ النـذـمةـ فـلـهـ حـكـمـ أـمـثـالـهـ ، وإنـ كانـ منـ أـهـلـ الـحـربـ فـلـهـ حـكـمـ أـمـثـالـهـ ، ويـجـبـ الإـنـكـارـ عـلـىـ هـذـاـ المـبـتـدـعـ وـأـمـثـالـهـ بـحـسـنـ قـصـدـ ، بـحـيـثـ يـكـونـ الـمـقـصـودـ طـاعـةـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ ؛ لاـ اـتـبـاعـ هـوـيـ ، وـلـاـ مـنـافـسـةـ وـلـاـ غـيـرـ ذـلـكـ . قالـ اللهـ تـعـالـىـ : «ـ وـقـاتـلـوـهـمـ حـتـىـ لـاـ تـكـونـ فـتـنـةـ وـيـكـونـ الدـيـنـ كـلـهـ اللهـ »^(١) .

فـالـمـقـصـودـ أـنـ يـكـونـ الدـيـنـ كـلـهـ اللهـ ، وـلـاـ دـيـنـ إـلـاـ مـاـ شـرـعـهـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـىـ أـلـسـنـ رـسـلـهـ . وـفـيـ الصـحـيـحـينـ «ـ أـنـ النـبـيـ ﷺـ قـيلـ لـهـ : ياـ رـسـوـلـ اللهـ !ـ الرـجـلـ يـقـاتـلـ شـجـاعـةـ ، وـيـقـاتـلـ حـمـيـةـ »^(٢) ، وـيـقـاتـلـ رـيـاءـ . فـأـيـ ذـلـكـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ ؟ فـقـالـ : مـنـ قـاتـلـ لـتـكـونـ كـلـمـةـ اللهـ هـيـ الـعـلـيـاـ ، فـهـوـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ »^(٣) فـيـكـونـ الـمـقـصـودـ عـلـوـ كـلـمـةـ اللهـ ، وـظـهـورـ دـيـنـ اللهـ . وـأـنـ يـعـلـمـ الـمـسـلـمـونـ كـلـهـمـ إـنـماـ عـلـيـهـ الـمـبـتـدـعـونـ الـمـرـأـوـنـ لـيـسـ مـنـ دـيـنـهـ ، وـلـاـ مـنـ فـعـلـ عـبـادـ اللهـ الـصـالـحـينـ ؛ـ بـلـ مـنـ فـعـلـ أـهـلـ الـجـهـلـ وـالـضـلـالـ وـالـإـشـراكـ بـالـهـ تـعـالـىـ ،ـ الـذـيـنـ يـخـرـجـونـ عـنـ تـوـحـيدـهـ ،ـ وـإـخـلـاصـ الـدـيـنـ لـهـ ،ـ وـعـنـ طـاعـةـ رـسـلـهـ .

(١) الآية ٣٩ من سورة الأنفال.

(٢) الحميـةـ : هيـ الأـنـفـةـ وـالـغـيـرـةـ وـالـمـحـاـمـةـ عـنـ عـشـيرـتـهـ .

(٣) الحديث أخرجهـ : البـخارـيـ فـيـ كـتـابـ التـوـحـيدـ بـابـ قـولـهـ تـعـالـىـ (ـ وـلـقـدـ سـبـقـتـ كـلمـتـناـ لـعـبـادـنـاـ الـمـرـسـلـيـنـ)ـ جـ ١٣ـ صـ ٤٤١ـ ،ـ وـمـسـلـمـ فـيـ كـتـابـ الـإـمـارـةـ بـابـ مـنـ قـاتـلـ لـتـكـونـ كـلـمـةـ اللهـ هـيـ الـعـلـيـاـ فـهـوـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ جـ ٣ـ صـ ١٥١٣ـ ،ـ وـابـنـ مـاجـةـ فـيـ كـتـابـ الـجـهـادـ بـابـ الـنـيـةـ فـيـ الـقـتـالـ جـ ٢ـ صـ ٩٣١ـ ،ـ وـالـتـرمـذـيـ فـيـ كـتـابـ فـضـائـلـ الـجـهـادـ بـابـ ماـ جـاءـ فـيـمـ يـقـاتـلـ رـيـاءـ وـلـلـدـنـيـاـ جـ ٤ـ صـ ١٧٩ـ وـقـالـ : «ـ هـذـاـ حـدـيـثـ حـسـنـ صـحـيـحـ »ـ ،ـ وـأـحـمـدـ فـيـ مـسـنـدـهـ جـ ٤ـ صـ ٤٠٥ـ .

[أصل الإسلام] :

و« أصل الإسلام » : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله .

فمن طلب بعباداته الرياء والسمعة لم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله ، ومن خرج عما أمره به الرسول من الشريعة وتعبد بالبدعة لم يتحقق شهادة أن محمداً رسول الله .

[كيفية التقرب إلى الله] :

وإنما يتحقق هذين « الأصلين » من لم يعبد إلا الله ، ولم يخرج عن شريعة رسول الله ﷺ التي بلغها عن الله ، فإنه قال : « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك »^(١) ، وقال : « ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد حدثكم به ، ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثكم به »^(٢) وقال ابن مسعود : « خط لنا رسول الله ﷺ خطأ ، وخط خطوطاً عن يمينه ، وشماله ثم قال : هذا سبيل الله ، وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه ثم قرأ : « وإن هذا صراطٌ مستقِيمٌ فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »^(٣) ». ^(٤)

فالعبادات والزهدات والمقالات والتورعات الخارجة عن سبيل الله - وهو

(١) رواه ابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهدىين ج ١ ص ١٦ ، وأحمد في مستنهج ٤ ص ١٢٦ ، والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٩٦ .

(٢) الحديث رواه: أحمد والطبراني ولفظه « ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم » انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٨ ص ٢٦٣ قال الهيثمي في المجمع: « ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة وفي إسناد أحمد من لم يسم » وانظر شرح السنة للإمام البغوي ج ١٤ ص ٣٠٣ ، والمستدرك ٤/٢ .

(٣) الآية ١٥٣ من سورة الانعام.

(٤) سبق تخرير هذا الحديث ص ٢٦ .

الصراط المستقيم : الذي أمرنا الله أن نسأله هدايته ، وهو ما دل عليه السنة - هي سبيل الشيطان ، ولو كان لأحدهم من الخوارق ما كان ، فليس أحدهم بأعظم من مقدمهم الدجال الذي يقول للسماء : أمطري فتمطر ، وللأرض أنتي فتنبت ، وللخرية أظهرني كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة^(١) . وهو مع هذا عدو الله ، كافر بالله ، وأولياء الله هم المذكورون في قوله : ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ لَا يَخْوِفُهُمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَقَوَّنُونَ﴾^(٢) فهم المؤمنون المتقوون ، والتقوى فعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه ، فمن ترك ما أمر الله ، واتخذ عبادة نهى الله عنها . كيف يكون من هؤلاء ؟ ! .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - يقول الله تعالى : « من عادى لي ولیاً »^(٣) الحديث . فَبَيْنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ بِمُثْلِ أَدْءَى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ .

والتقرب بالواجبات فقط طريق المقتضدين أصحاب اليمين ، ثم التقرب بعد ذلك بما أحبه الله من التوافل هو طريق السابقين المقربين والمحبوبات هي ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ : أَمْرٌ إِيجَابٌ ، أوْ أَمْرٌ اسْتِحْبَابٌ ، دون ما اسْجَبَهُ الرَّجُلُ بِرَأْيِهِ وَهُوَاهُ ، وَاللَّهُ سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

[حكم الدعوة بالسماع] :

وَسَيِّلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ عَلَامَةُ الزَّمَانِ . تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني - رضي الله عنه - عن « جماعة » يجتمعون على قصد الكبائر : من القتل ، وقطع

(١) انظر صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٥٢ .

(٢) الآياتان ٦٢ - ٦٣ سورة يونس .

(٣) الحديث رواه : البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع ج ١١ ص ٣٤٠ وأورده الهندي في كنز العمال ج ٧ ص ٧٧٠ ورواه أحمد في المسند ٢٥٦/٦ وأبو نعيم في الحلية ٤/٥ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٦٢٣ .

الطريق ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وغير ذلك . ثم إن شيئاً من المشائخ المعروفين بالخير وأتباع السنة قد صد من المذكورين من ذلك ، فلم يمكنه إلا أن يقيم لها سماعاً يجتمعون فيه بهذه النية . وهو بذاته بلا صلاصل^(١) ، وغناء المغني بشرع مباح بغير شابة ، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة ، وأصبح من لا يصلح ولا يسرق ولا يزكي يتورع عن الشبهات ، ويؤدي المفروضات ، ويتجنب المحرمات . فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه ، لما يترب عليه من المصالح ؟ مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا ؟

[إكمال الله للدين] :

فأجاب ؛ الحمد لله رب العالمين .

أصل جواب هذه المسألة وما أشبهها : أن يعلم أن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ، ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً . وأنه أكمل له ولأمته الدين ، كما قال تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتْ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينَكُمْ »^(٢) . وأنه بشر بالسعادة لمن أطاعه والشقاوة لمن عصاه ، فقال تعالى : « وَمَنْ يَطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الدِّينِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِادَةِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسِنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا »^(٣) . وقال تعالى : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا »^(٤) .

[وجوب الرد عند النزاع إلى ما بعث به الرسول] :

وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به ، كما قال

(١) بلا صلاصل : أي بلا صوت [انظر مادة صلل في لسان العرب ج ١١ ص ٣٨١].

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٦٩ من سورة النساء.

(٤) الآية ٢٣ من سورة الجن.

تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ . إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١) وأخبر أنه يدعوا إلى الله وإلى صراطه المستقيم ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةِ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . أَلَا إِلَى اللَّهِ تُصِيرُ الْأُمُورِ﴾^(٣) .

[الاعتصام بالكتاب والسنة] :

وأخبر أنه يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويزحرم الخبائث . كما قال تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ وَيَرْتَقُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يَؤْمِنُونَ . الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يَعْدُونَهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ . يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَيُبَلِّغُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ . وَيَرْحَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ . وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ . فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ﴾^(٤) .

وقد أمر الله الرسول - ﷺ - بكل معروف ونهى عن كل منكر . وأحل كل طيب . وحرم كل خبيث . وثبت عنه - ﷺ - في الصحيح أنه قال : « ما بعث الله نبياً حقاً إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم »^(٥) . وثبت عن العرباض بن سارية قال : « وعظنا رسول

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

(٣) الآيات ٥٢ - ٥٣ من سورة الشورى.

(٤) الآيات ١٥٦ - ١٥٧ من سورة الأعراف.

(٥) الحديث رواه مطولاً مسلم في كتاب الإمارة بباب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ج ٣ ص ١٤٧٣ والنثاني في كتاب البيعة بباب ذكر ما على من بايع الإمام

الله - ﷺ - موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، قال فقلنا : يا رسول الله ! كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور . فإن كل بدعة ضلاله ^(١) . وثبت عنه ^(٢) أنه قال : « ما تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثكم به » ^(٣) . وقال : « تركتكم على البيضاء ليلاً كنها رها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » ^(٤) .

وشهادت هذا « الأصل العظيم الجامع » من الكتاب والسنة كثيرة وترجم عليه أهل العلم في الكتب . « كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة » كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما . فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين ، وحزبه المفلحين ، وجنته الغالبين ، وكان السلف - كمالك ^(٥) وغيره - يقولون السنة كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وقال الزهرى ^(٦) : كان من مضى من علمائنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة .

وأعطاه صفة يده وثمرة قلبه ج ٧ ص ١٥٣ ، وابن ماجة في كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن ج ٢ ص ١٣٠٦ .

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنن ج ٥ ص ١٣ ، وابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ج ١ ص ١٥ ، والترمذى في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ج ٥ ص ٤٤ وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، والدارمى في المقدمة باب اتباع السنة ج ١ ص ٤٤ ، والإمام أحمد في المسند ج ٤ ص ١٢٧ .

(٢) سبق تخرجه ص ٧٠ .

(٣) سبق تخرجه ص ٧٠ .

(٤) هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عاصي بن عمرو بن العاص بن غيمان ويقال عثمان ، الأصبهى المدنى إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام ولد سنة ٩٥ هـ وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ١٧٩ هـ . [وفيات الأعيان ٤ / ١٣٥] .

(٥) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة

إذا عرف هذا فمعلوم إنما يهدي الله به الضالين ويرشد به الغاوين ويتب
به على العاصين ، لا بد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة ،
وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول -- لا يكفي في ذلك ، لكان دين الرسول
ناقصاً ، محتاجاً تتمة . وينبغي أن يعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر
إيجاب أو استحباب . والأعمال الفاسدة نهى الله عنها .

[كل ما لم يشرعه الله ضرره أكبر من نفعه] :

والعمل إذا اشتمل على مصلحة وفسدة ؛ فإن الشارع حكيم . فإن
غلبت مصلحته على مفسدته شرعه ، وإن غلت مفسدته على مصلحته لم
يشرعه ؛ بل نهى عنه ؛ كما قال تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ،
وَعَسَى أَن تَكْرُهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ،
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »^(١) وقال تعالى : « يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ ، قُلْ : فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرٌ مِّنْ نَفْعِهِمَا »^(٢)
ولهذا حرمهما الله تعالى بعد ذلك .

وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقرباً إلى الله ، ولم يشرعه الله
ورسوله ؛ فإنه لا بد أن يكون ضرره أعظم من نفعه ، وإلا فلو كان نفعه أعظم
غالباً على ضرره لم يحمله الشارع ؛ فإنه - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - حكيم ، لا يهمل مصالح
الدين ، ولا يغوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين .

ابن كلاب القرشي ، الزهرى ، أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته واتقانه وهو من
رؤوس الطبقية الرابعة مات سنة ١٢٥ هـ وقيل قبل ذلك ستة أو سنتين [تقريب التهذيب
ص ٥٠٦].

(١) الآية ٢١٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

[جهل الداعي وعجزه عن الطرق الشرعية التي توب بها العصاة] :

إذا تبين هذا فنقول للسائل : إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعين على الكبائر ، فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي . يدل أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها توب العصاة ، أو عاجز عنها ، فإن الرسول - ﷺ - والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسق والعصيان بالطرق الشرعية ، التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية .

[توبه الكثرين بالطرق الشرعية] :

فلا يجوز أن يقال : إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة ، فإنه قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسق والعصيان من لا يحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية ، التي ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعي : بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان - وهو خير أولياء الله المتقيين ، من هذه الأمة - تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية ، لا بهذه الطرق البدعية . وأمصار المسلمين وقراهم قديماً وحديثاً مملوءة ممن تاب إلى الله واتقاء ، وفعل ما يحبه الله ويرضاه بالطرق الشرعية ، لا بهذه الطرق البدعية .

فلا يمكن أن يُقال : إن العصاة لا تمكن توبتهم إلا بهذه الطرق البدعية ، بل قد يقال : إن في الشيوخ من يكون جاهلاً بالطرق الشرعية ، عاجزاً عنها ، ليس عنده علم بالكتاب والسنّة ، وما يخاطب به الناس ، ويسمعهم إياه ، مما يتوب الله عليهم ، فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية . إما مع حسن القصد . إن كان له دين وإما أن يكون غرضه الترؤس عليهم ، وأنخذ أموالهم بالباطل ، كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل

الله ﷺ) (١) فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعة إلا لجهل ، أو عجز ، أو غرض فاسد . وإنما المعلوم أن سماع القرآن هو سمع النبئين ، والعارفين ، والمؤمنين . قال تعالى في النبيين : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ، ومن هدينا واجتبينا ، إذا تلئ عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياماً » (٢) .

وقال تعالى في أهل المعرفة : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » (٣) . وقال تعالى في حق أهل العلم : « إنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يَتَلَقَّبُونَ بِخَرْقَانَ سَجْدَةً » . ويقولون : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً . ويخررون للأذقان ي يكون ويزيدهم خشوعاً (٤) . وقال في المؤمنين : « إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقَنَاهُمْ يَنْفَقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا » (٥) . وقال تعالى : « اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ كِتَابًا مُتَشَابِهًًا مَثَانِي تَقْشِعُ مِنْهُ جَلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلَيَّنَ جَلُودُهُمْ . وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ . ذلك هدى الله » (٦) .

[هدى الله العباد بالسماع الشرعي] :
وبهذا السمع هدى الله العباد ، وأصلح لهم أمر المعاش والمعاد ، وبه

(١) الآية ٣٤ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٥٨ من سورة مريم.

(٣) الآية ٨٣ من سورة المائدة.

(٤) الآيات ١٠٧ - ١٠٩ من سورة الأسراء.

(٥) الآيات ٢ - ٤ من سورة الأنفال.

(٦) الآية ٢٣ من سورة الزمر.

بعث الرسول ﷺ ، وبه أمر المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان . وعليه كان يجتمع السلف ، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا رجالاً منهم أن يقرأوهم يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول لأبي موسى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون^(١) . وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه مر بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ ، فجعل يستمع لقراءته . وقال : « لقد أُوتِيَ هذا مزماماً من مزامير آل داود »^(٢) . وقال : « مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك » ، فقال : لو علمت أنك تسمعني لحبرته لك تحبّرأ^(٣) . أي لحسته لك تحسيناً .

وفي الصحيح أنه ﷺ قال لابن مسعود : « إقرأ على القرآن » ، فقال : أقرأ عليك القرآن وعليك أُنزل ؟ ! فقال : إنني أحب أن أسمعه من غيري . قال : فقرأتُ عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئناك على هؤلاء شهيداً ؟ »^(٤) قال لي : حسبك ، فنظرت إليه فإذا عيناه تدربان من البكاء^(٥) وعلى هذا السمعان كان يجتمع القرون الذين أثني عليهم النبي ﷺ ، حيث قال : « خير القرون الذين بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »^(٦) .

[فضل السماع الشرعي وأهله] :
ولم يكن في السلف الأول سمع يجتمع عليه أهل الخير إلا هذا . لا

(١) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ٢٥٨ .

(٢) سبق تخرجه ص ٤٣ .

(٣) سبق تخرجه ص ٤٣ - ٤٤ .

(٤) الآية ٤١ من سورة النساء .

(٥) سبق تخرجه ص ٦ .

(٦) سبق تخرجه ص ٤٦ .

بالحجاز ، ولا باليمن ، ولا بالشام ، ولا بمصر ، والعراق ، وخراسان والغرب . وإنما حدث السماع المبتدع بعد ذلك ، وقد مدح الله أهل هذا السماع ، المقربين عليه . وذم المعرضين عنه . وأخبر أنه سبب الرحمة . فقال تعالى : ﴿ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لِعُلُّكُمْ تَرْحُمَةً ﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا عَلَيْهَا صُبُّا وَعُمَيْنًا ﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْعَهُمْ لَتَولُوا وَهُمْ مَعْرُضُونَ ﴾^(٤) . وقال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكُرَةِ مَعْرُضُونَ . كَأَنَّهُمْ حَمَرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ ، فَرَتْ مِنْ قَسْوَرَةً ﴾^(٥) . وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذَكْرِ بَيَّنَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾^(٦) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْتِينَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْهُدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَا يَقْدِرُ لَا يُضْلَلُ وَلَا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبُّهُ : لَمَّا حَشَرْتَنِي أَعْمَى؟ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ، قَالَ كَذَلِكَ أَتَكَ آيَاتِنَا فَنَسِيَتِهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنَسِّى ﴾^(٧) . ومثل هذا في القرآن كثير يأمر الناس باتباع ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة ، ويأمرونهم بسماع ذلك .

وقد شرع الله تعالى السماع للMuslimين : في المغرب ، والعشاء ، والفجر . قال تعالى : ﴿ وَقَرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قَرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾^(٨) وبهذا

(١) الآية ٢٠٤ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ٧٣ من سورة التفريغان .

(٣) الآية ١٦ من سورة الحديد .

(٤) الآية ٢٣ من سورة الأنفال .

(٥) الآيات ٤٩ - ٥١ من سورة المدثر .

(٦) الآية ٥٧ من سورة الكهف .

(٧) الآيات ١٢٤ - ١٢٦ من سورة طه .

(٨) الآية ٧٨ من سورة الإسراء .

مدح عبد الله بن رواحة النبي ﷺ حيث قال :

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعٌ
بَيْتٌ يُجَاهِي جَنِيهِ عَنْ فَرَاشِهِ إِذَا سَتَقَلَتْ بِالْكَافِرِينَ الْمُضَاجِعُ
أَتَى بِالْهَدِيَّ بَعْدَ الْعُمَى فَلَوْبِنَا بِهِ مَوْقَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعٌ^(١).

[كره الأئمة ومشائخ الصوفية للسماع المحدث] :

وأحوال أهل هذا السماع مذكورة في كتاب الله ، من وجل القلوب ،
ودمع العيون ، واقتصرار الجلود . وإنما حدث سماع الآيات بعد هذه
القرون ، فأنكره الأئمة ، حتى قال : الشافعي - رحمه الله - خلفت بغداد شيئاً
أحد ثلة الزنادقة ، يسمونه التغيير ، يزعمون أنه يرقق القلوب ، يصدون به الناس
عن القرآن . وسئل الإمام أحمد عنه فقال : محدث ، فقيل له : أنجلس معهم
فيه ؟ فقال : لا يجلس معهم .

والتغيير هو الضرب بالقضيب على جلودهم ، من أمثل أنواع السماع .
وقد كرهه الأئمة فكيف بغيره ، والأئمة المشائخ الكبار لم يحضروا هذا السماع
المحدث ، مثل الفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان
الداراني ، ومعروف الكرخي ، والسرى السقطي ، وأمثالهم . ولا أكابر
الشيوخ المتأخرین : مثل الشيخ عبد القادر ، والشيخ عدي ، والشيخ أبي
مدين ، والشيخ أبي البيان ، والشيخ أبي القاسم الحوفي^(٢) ، والشيخ علي بن
وهب^(٣) ، والشيخ حياة ، وأمثالهم . وطائفة من الشيوخ حضروه ثم رجعوا

(١) انظر صفحة ٤٣ من هذا الكتاب .

(٢) هو أحمد بن محمد بن خلف ، أبو القاسم الحوفي : قاضي مالكي ، عالم بالفرائض
أندلسي ، إشبيلي ، أصله من الحروف بمصر توفي سنة ٥٨٨ هـ [الأعلام ٢١٦ / ١] .

(٣) هو علي بن وهب بن مطیع العلامة مجد الدين بن دقیق العید القشیری المالکی شیخ
أهل الصعيد ونذیل قوص ، كان جامعاً لفنون العلم ، موصوفاً بالصلاح والتآله ، مُعظماً

عنه، وسئل الجنيد عنه فقال: من تَكُلُّفَ السَّمَاعَ فُتِنَ بِهِ، وَمَنْ صَادَفَهُ السَّمَاعَ أَسْتَرَاهُ بِهِ، فَبَيْنَ الْجَنِيدِ أَنْ قَاصِدَ هَذَا السَّمَاعَ صَارَ مُفْتُونًا، وَأَمَّا مَنْ سَمِعَ مَا يَنْسَبُهُ بِغَيْرِ قَصْدٍ فَلَا يَبْأُسُ.

فإن النهي إنما يتوجه إلى الاستماع ، دون السمع . ولهذا لو مر الرجل بقوم يتكلمون بكلام محرم لم يجب عليه سد أذنيه ؛ لكن ليس له أن يستمع من غير حاجة ، ولهذا لم يأمر النبي ﷺ ابن عمر بسد أذنيه لما سمع زماررة الراعي ؛ لأنه لم يكن مستمعاً بل ساماً^(١) .

[سماع المقربين وسماع غيرهم] :

وقول السائل وغيره : هل هو حلال ؟ أو حرام ؟ لفظ مجمل فيه تلبيس^(٢) ، يشتبه الحكم فيه ، حتى لا يحسن كثير من المفتين تحرير الجواب فيه ؛ وذلك أن الكلام في السمع وغيره من الأفعال على ضربين :

(أحدهما) أنه هل هو محرم ؟ أو غير محرم ؟ بل يفعل كما يفعلسائر الأفعال التي تلتذ بها النفوس ، وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب كسماع الأعراس ، وغيرها . مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو ، لا لقصد العبادة والتقرب إلى الله .

و (النوع الثاني) أن يفعل على وجه الديانة ، والعبادة ، وصلاح القلوب ، وتجريد حب العباد لربهم ، وتزكية نفوسهم ، وتطهير قلوبهم وأن تحرك من القلوب الخشية ، والإذابة ، والحب ، ورقة القلوب ، وغير ذلك مما هو من جنس العبادات ، والطاعات ، لا من جنس اللعب والملهيات .

في النفوس توفي في المحرم سنة سبع وستين وستمائة عن ست وثمانين سنة [العبر للذهبي ٣١٧/٣].

(١) سبق تخریج هذا الحديث ص ٢٠ .

(٢) التلبيس : كالتدليس والتخليط شُدَّدَ للمبالغة [مختار الصحاح ص ٥٩٠].

فيجب الفرق بين سمع المتقربين ، وسماع المتعلعين ، وبين السماع الذي يفعله الناس في الأعراس ، والأفراح ، ونحو ذلك من العادات ، وبين السماع الذي يفعل لصلاح القلوب ، والتقرب إلى رب السموات ، فإن هذا يسأل عنه : هل هو قربة وطاعة؟ وهل هو طريق إلى الله؟ وهل لهم بد من أن يفعلوه لما فيه من رقة قلوبهم ، وتحريك وجدهم لمحبوبهم ، وتزكية نفوسهم ، وإزالة القسوة عن قلوبهم ، ونحو ذلك من المقاصد التي تقصد بالسماع؟ كما أن النصارى يفعلون مثل هذا السماع في كنائسهم على وجه العبادة والطاعة ، لا على وجه اللهو واللعب .

إذا عُرِفَ هذا فحقيقةُ السؤال : هل يباح للشيخ أن يجعل هذه الأمور التي هي : إما محرمة؟ أو مكرهه؟ أو مباحة؟ قربة وعبادة وطاعة ، وطريقة إلى الله يدعو بها إلى الله ، ويتبّع العاصيin ، ويرشد بها الغاوين ، ويهدي بها الصالحين .

[الأعمال والعبادات بالنيات] :

ومن المعلوم أن الدين له «أصلان» فلا دين إلا ما شرع الله ، ولا حرام إلا ما حرم الله ، والله تعالى عاب على المستركين أنهم حرموا ما لم يحرمه الله ، وشرعوا ديناً لم يأذن به الله .

ولو سُئلَ العالم عمن يعدو بين جبلين : هل يباح له ذلك؟ قال : نعم ، فإذا قيل : إنه على وجه العبادة كما يسعى بين الصفا والمروة ، قال : إن فعله على هذا الوجه حرام منكر ، يستتاب فاعله ، فإن تاب وإن قتل .

ولو سُئلَ : عن كشف الرأس ، ولبس الإزار ، والرداء : أفتى بأن هذا جائز . فإذا قيل : إنه يفعله على وجه الإحرام . كما يحرم الحاج . قال : إن هذا حرام منكر .

ولو سُئلَ : عمن يقوم في الشمس . قال : هذا جائز . فإذا قيل : إنه

يفعله على وجه العبادة . قال : هذا منكر . كما روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - «أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس . فقال : من هذا ؟ قالوا : هذا أبو إسرائيل يريد أن يقوم في الشمس . ولا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم فقال النبي ﷺ : مروه فليتكلّم ، وليجلس ، ولويستظل وليتهم صومه»^(١) ؛ فهذا لو فعله لراحة ، أو غرض مباح لم ينه عنه ؛ لكن لما فعله على وجه العبادة نهي عنه .

وكذلك لو دخل الرجل إلى بيته من خلف البيت ، لم يحرم عليه ذلك ، ولكن إذا فعل ذلك على أنه عبادة . كما كانوا يفعلون في الجاهلية : كان أحدهم إذا أحرم لم يدخل تحت سقف ، فنعوا عن ذلك ، كما قال تعالى : «وليس البرُّ بِأَن تأتوا البيوت من ظهورها . ولكنَّ البرُّ مِنْ أَنْقُنِي . وأَنْتُمَا الْبَيْوَاتُ مِنْ أَبْوَابِهِمْ»^(٢) فَبَيْنَ سَبْحَانِهِ أَنْ هَذَا لَيْسَ بِبَرٍّ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَرَاماً ، فَمِنْ فَعْلِهِ عَلَى وَجْهِ الْبَرِّ وَالتَّقْرِبِ إِلَى اللَّهِ كَانَ عَاصِيًّا ، مَذْمُومًا ، مُبَدِّعًا ، وَالْبَدْعَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُعْصِيَةِ ؛ لَأَنَّ الْعَاصِي يَعْلَمُ أَنَّهُ عَاصِيٌّ فَيَتُوبُ ، وَالْمُبَدِّعُ يَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي يَفْعُلُ طَاعَةً فَلَا يَتُوبُ .

ولهذا من حضر السماع للعب واللهو لا يعده من صالح عمله ، ولا يرجو به الثواب ؛ وأما من فعله على أنه طريق إلى الله تعالى فإنه يتancode دينه ، وإذا نهى عنه كان كمن نهى عن دينه ، ورأى أنه قد انقطع عن الله ، وحرم نصيحة من الله تعالى إذا تركه . فهو لاء ضلال باتفاق علماء المسلمين ، ولا يقول أحد من أئمة المسلمين : إن اتخاذ هذا ديناً وطريقاً إلى الله تعالى أمر مباح ؛ بل من جعل هذا ديناً وطريقاً إلى الله تعالى فهو ضال ، مفتر ، مخالف لاجماع المسلمين . ومن نظر إلى ظاهر العمل وتتكلم عليه ، ولم ينظر إلى فعل العامل ونيته كان جاهلاً متكلماً في الدين بلا علم .

(١) سبق تخرجه ص ٦٤ .

(٢) الآية ١٨٩ من سورة البقرة .

فالسؤال عن مثل هذا أن يقال: هل ما يفعله هؤلاء طريق وقربة وطاعة الله تعالى يحبها الله ورسوله أم لا؟ وهي يثابون على ذلك أم لا؟ وإذا لم يكن هذا قربة وطاعة وعبادة لله ، ففعلوه على أنه قربة وطاعة وعبادة وطريق إلى الله تعالى . هل يحل لهم هذا الاعتقاد؟ وهذا العمل على هذا الوجه؟

[حقيقة القرب والطاعات] :

وإذا كان السؤال على هذا الوجه لم يكن للعالم المتبوع للرسول - ﷺ - أن يقول : إن هذا من القرب والطاعات ، وأنه من أنواع العبادات ، وأنه من سبيل الله تعالى وطريقه الذي يدعوه به هؤلاء إليه ، ولا أنه مما أمر الله تعالى به عباده : لا أمر إيجاب ، ولا أمر استحباب ، وما لم يكن من الواجبات والمستحبات فليس هو مموداً . ولا حسنة ، ولا طاعة ، ولا عبادة ، باتفاق المسلمين .

فمن فعل ما ليس بواجب ولا مستحب على أنه من جنس الواجب أو المستحب فهو ضال مبتدع ، وفعله على هذا الوجه حرام بلا ريب . لا سيما كثير من هؤلاء الذين يتذمرون هذا السمع المحدث طريقاً يُقدّمونه على سماع القرآن وجداً وذوقاً . وربما قدموه عليه اعتقاداً ، فتجدهم يسمعون القرآن بقلوب لاهية ، وألسن لاغية ، وحركات مضطربة ، وأصوات لا تقبل عليه قلوبهم ، ولا ترتاح إليه نفوسهم ، فإذا سمعوا «المكاء» و«التصدية» أصغت القلوب ، واتصل المحبوب بالمحب ، وخشت الأصوات ، وسكنت الحركات ، فلا سعلة ، ولا عطاس ، ولا لغط^(١) ، ولا صياح ، وإن قرأوا شيئاً من القرآن ، أو سمعوه كان على وجه التكلف والسخرة^(٢) ، كما لا يسمع

(١) اللُّغْطُ: الصوت والجلبة . [مختار الصحاح ص ٦٠٠] .

(٢) السُّخْرَةُ: كُهْمَزَةُ أي السخرية [انظر مختار الصحاح ص ٢٩٠] .

الإنسان ما لا حاجة له به ، ولا فائدة له فيه ، حتى إذا سمعوا مزمار الشيطان أحبوا ذلك ، وأقبلوا عليه ، وعكفت أرواحهم عليه .

فهؤلاء جند الشيطان ، وأعداء الرحمن ، وهم يظنون أنهم من أولياء الله المتقين ، وحالهم أشبة بحال أعداء الله المنافقين ، فإن المؤمن يحب ما أحبه الله تعالى ، ويبغض ما أبغض الله تعالى ، ويبالي أولياء الله ، ويعادي أعداء الله ، وهؤلاء يحبون ما أبغض الله ، ويبغضون ما أحب الله ، ويبالون أعداء الله ، ويعادون أولياءه ؛ ولهذا يحصل لهم تزلات شيطانية بحسب ما فعلوه من مزامير الشيطان ، وكلما بعدوا عن الله ورسوله وطريق المؤمنين قربوا من أعداء الله ورسوله ، وجند الشيطان .

فيهم من يطير في الهواء والشيطان طائر به ، ومنهم من يصرع الحاضرين وشياطينه تصرعهم ، وفيهم من يحضر طعاماً ، وإداماً^(١) . ويملا الإبريق من الهواء والشياطين فعلت ذلك . فيحسب الجاهلون أن هذه من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هي من جنس أحوال الكهنة والسحرة وأمثالهم من الشياطين ، ومن يميز بين الأحوال الرحمانية والنفسانية والشيطانية لا يشتبه عليه الحق بالباطل .

وقد بسطنا الكلام على «مسألة السماع» وذكرنا كلام المشائخ فيه في غير هذا الموضوع ، وبالله التوفيق ، والله أعلم . وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم .

(١) الإدام: ما يؤتدم به تقول منه أدم الخبز باللحم من باب ضرب [مختار الصحاح ص ١٩] .

الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث والأثار.
- ٣ - فهرس المصادر والمراجع.
- ٤ - فهرس الموضوعات.

١ - فهرس الآيات القرآنية

الآية أ)	رقم الصفحة	السورة	رقم الآية
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾	٢٤	محمد	١٠
﴿أَفَلَمْ يَدْبِرُوا الْقَوْلَ﴾	١٧ - ١٨	الزمر	١٠
﴿إِلَّا إِنَّ أُولَئِكَ هُنَّ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ . . .﴾	٦٢ - ٦٣	يونس	٧١
﴿الَّذِينَ يَسْتَعْنُونَ بِالْقَوْلِ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	١٨	الزمر	٤٢
﴿إِنَّ اللَّهَ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ . . .﴾	٢٣	الزمر	٧٧ ، ٤٢
﴿إِنَّمَا يَأْنِي لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ﴾	١٦	الحديد	٧٩ ، ٤٥
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ . . .﴾	٢١	الشورى	٦٢ ، ٣٨
﴿إِنْ شَرُ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمْ الْبَكْمِ . . .﴾	٢٢ - ٢٣	الأنفال	٧٧ ، ٤٢ ، ١٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ . . .﴾	١٠٩ - ١٠٧	الإسراء	٧٧ ، ٤١ ، ١٠
﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ . . .﴾	٩١ - ٩٢	النمل	١٢
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	٢	الأنفال	٧٧ ، ١٠
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	٢٧ - ٢٨	التكوير	١٤
﴿وَأَوْعِجْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذَكْرٌ . . .﴾	٦٣ ، ٦٩	الأعراف	١٣
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ «ث»	٥٨	مريم	٧٧ ، ٤١ ، ١٠ ، ٩
﴿ثُمَّ قَسْتَ قُلُوبِكُمْ . . .﴾ «ف»	٧٤	البقرة	٤٥
﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى . . .﴾	١٢٤ - ١٢٦ طه		٧٩ ، ١٣
﴿فَكَيْفَ إِذَا جَتَنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بَشَهِيدٍ . . .﴾	١٤١	النساء	٧٨ ، ١١

الآية	رقم الصفحة	السورة	رقم الآية
﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكْرَةِ مُعْرِضُونَ...﴾	٥١ - ٤٩	المدثر	٧٩، ١١
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ...﴾	١١٠	الكهف	٦٣
﴿وَقَ﴾			
﴿قَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكَنُوا...﴾	٢٩	القصص	٥٧
﴿قُلْ مَنْ حَرُمَ زِينَةَ اللَّهِ...﴾	٣٣ - ٣٢	الأعراف	٣٩ - ٣٨
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي...﴾	١٠٨	يوسف	٧٣
﴿وَكَ﴾			
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾	٢١٣	البقرة	٣٧
﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ مَبَارِكٌ...﴾	٢٩	ص	١٠
﴿كُتُبٌ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ...﴾	٢١٦	البقرة	٧٥
﴿وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا...﴾	١٦٤	آل عمران	١٢
﴿لِيَلِيُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٧	هود	٦٣، ٥٣، ٣٩
﴿لِيَلِيُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	الملك	٦٣، ٥٣، ٣٩
﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذَكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ إِلَّا اسْتَمْعُوهُ...﴾	٢٤	الأنبياء	١٤
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ			
﴿وَإِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلِيَسْتَكِبِرَا...﴾	٧	لقمان	٤٢، ١١
﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْ الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ...﴾	٨٣	المائدة	٧٧، ٤١، ١٠
﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَةً...﴾	٢٩ - ٢٨	الأعراف	٣٨
﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حَجَابٌ﴾			
﴿وَإِذَا قَرَىءَ الْقُرْآنَ فَاسْتَمْعُوا لَهُ﴾			
﴿وَإِذَا صَرَفْنَا إِلَيْكُمْ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ﴾			
﴿وَإِذَا نَذَّتْ لِرَبِّهَا وَحْقَتْ﴾			
﴿وَاقْصُدْ فِي مُشِيكٍ﴾			
﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾			
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾			

الآية	رقم الصفحة	السورة رقم الآية	النوع
﴿وَإِنْ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾	١٥٣	١٥٣	الأعراف
﴿وَإِنَّهُ لِذِكْرِ لَكَ وَلِقَوْمِكَ . . .﴾	٤٤	٤٤	الزخرف
﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾	١٥٦ - ١٥٧	١٥٦	الأعراف
﴿وَرَهْبَانِيَ ابْتَدَعُوهُا . . .﴾	٢٧	٦٨،٥٤	الحديد
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾	١٠٠	٢٧	التوبه
﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زَمِيرًا . . .﴾	٧١	١٣	الزمر
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَ أَنْهُمْ﴾	٦٣	٥٢	الفرقان
﴿وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فَتَّةً﴾	٣٩	٦٩	الأنفال
﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنِّي قَوْمٌ . . .﴾	٣١ - ٣٠	١١	الفرقان
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ . . .﴾	٢٦	٤٢، ١١	فصلت
﴿وَقَالُوا قَلِيلٌ مِّا نَعْلَمُ فِي أَكْثَرِ . . .﴾	٥	١١	فصلت
﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ نَزَّلْنَا عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾	٦	١٤، ١٣	الحجر
﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ . . .﴾	٧٨	٧٩، ٤٣	الإسراء
﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾	٧٣	٧٩، ٤٢	الفرقان
﴿وَلَوْ عِلِّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَا سَمَعُوهُمْ . . .﴾	٢٣	٧٩	الأنفال
﴿وَلِيُّسَ الْبَرُّ بِأَنَّ تَأْتِيَ الْبَيْتُ مِنْ ظُهُورِهَا﴾	٨٣	٨٣	البقرة
﴿وَمَا عَلِمْنَا الشِّعْرَ﴾	٦٩	١٤	يس
﴿وَمَا كَانَ صَالِحُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاهَ وَتَصْدِيَةً﴾	٣٥	٥٠، ٤٩، ١٤	الأنفال
﴿وَمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ ذَكَرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾	٥٧	٧٩، ٤٢	الكهف
﴿وَمَنْ يَطْعِنَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ . . .﴾	٦٩	٧٢	النساء
﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾	٣٦	١٣	الزخرف
﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ . . .﴾	٢٣	٧٢	الجن
﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مَبَارِكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾	٥٠	١٣	الأبياء
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾	٥٩	٧٣، ٣٧	النساء
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانَ لِيَأْكُلُونَ أُمُوَالَ النَّاسِ﴾	٣٤	٧٧، ٧٦، ٥٤	التوبه
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيَّبَاتَ مَا أَحْلَلَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	٨٨ - ٨٧	٣٩	المائدة

الآية	رقم الآية	السورة رقم الصفحة
﴿يا بني آدم إما يأتينكم رسلاً منكم﴾	٣٥	الأعراف ١٢
﴿يا معاشر الجن والإنس ألم يأنكم رسلاً﴾	١٣٠	الأنعام ١٣
﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾	٢١٩	البقرة ٨٥، ٤٨
﴿اللهم أكملت لكم دينكم . . .﴾	٣	المائدة ٧٢، ٤٩، ٢٦
﴿يَوْمَ تُنَقَّلُ وجوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾	٦٦-٦٨	الأحزاب ٥٤

٢ - فهرس الأحاديث والآثار

رقم الصفحة	الحديث
	(أ)
١٩	«أبْزَمَارُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ»
٥١	«إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ»
٧٨ ، ١٢	«أَقْرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ»
٣٧	«اللَّهُمَّ رَبَّ جَنَّاتِيلٍ»
٦٣	«أَنَا أَغْنَى الشَّرْكَاءِ عَنِ الشَّرِّ»
٢٩	«أَنَّ أَسِيدَ بْنَ حَضِيرَ لَمَا قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ»
٢٧	«إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ»
١٦	«إِنَّ أَهْلَ الصَّفَةِ قَاتَلُوا مَعَ الْكُفَّارِ»
٦٥	«إِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ»
٣٠	«إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ أَمْتَهُ مَنْ يَسْتَحْلِلُ الْحَرَّ وَالْحَرِيرَ»
٢٠	«إِنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ زِمَارَةَ رَاعٍ»
١٦	«إِنَّهُ لِمَا يُشَرِّقُ الْفَقَرَاءُ بِسَبِقِهِمُ الْأَغْنِيَاءُ»
٧٤	«أُوصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ»
	(ت)
١٨	«التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ»
٧٤ ، ٧٠	«تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لِيَلْهَا كَنْهَارَهَا»
	(خ)
٧٠ ، ٢٦	«خَطَطَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطَّاً»
٦٠	«خَمْسٌ فَوَاسِقٌ»

رقم الصفحة	ال الحديث
٧٨ ، ٤٦	«خير القرون القرن الذي بعثت فيه»
٥١	«خير الكلام كلام الله»
١٩	«دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوماً عيدها»
٤٤	«زينا القرآن بأصواتكم»
٦٨	«صلوة الجمعة تفضل صلاة الفذ»
٦٧	«لا أجد لك رخصة»
٦٦	«لا رهبانية في الإسلام»
٧٨ ، ٤٣	«لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير داود»
٤٤	«الله أشد أذناً»
٥٢	«ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر المحبوب»
٤٤	«ليس منا من لم يتغنى بالقرآن»
١٩	«ليعلم المشركون أن في ديننا فسحة»
٦٦	«لينتهن أقوام عن ودعهم الجماعات»
٢٩	٤٣ «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسوه بينهم إلا»
٤٤	«ما أذن الله أذناً»
٦٥	«ما بال رجال يقول أحدهم»
٧٣	«ما بعث الله نبياً حقاً إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته»
٧٤ ، ٧٠	«ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به»
٨٣	«مروه فليتكلم»
٦٤	«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»
١٧	«من أين لكم هذا»
٦٤	«من سمع الله به»

رقم الصفحة	الحديث
٦٧	«من سمع النداء فلم يجب»
٧١	«من عادى لي ولليا»
٦٤	«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»
٦٩	«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا»
٦٤	«من هذا؟ قالوا: هذا أبو ثغر الصمت»
	(هـ)
٢٦	«هذا سبيل الله»
٦٧	«هل تسمع النداء»
	(وـ)
٧٤، ٧٣	«وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب»
	(يـ)
٧٨، ٤٣، ١٢، ١١	«يا أبا موسى ذكرنا ربنا»
٧٨، ٤٤، ٤٣	«يا أبا موسى لقد مررت بك البارحة وأنت تقرأ»
٣٣، ٣٢	«يا عباس يا عمه ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟»

٣ - فهرس المصادر والمراجع

- الأسماء والصفات، للبيهقي - طبعة دار الكتب العلمية.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني - طبعة دار الكتاب العربي .
- الأعلام، لخير الدين الزركلي - طبعة دار العلم للملايين .
- أيام العرب في الجاهلية، لمحمد أحمد جاد المولى وزملائه - طبعة دار إحياء التراث العربي .
- البداية والنهاية، لابن كثير - طبعة دار الفكر.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني - طبعة دار المعرفة .
- التذكرة في الأحاديث المشتهرة، للزركشي - طبعة دار الكتب العلمية .
- تذكرة الحفاظ، للإمام الذهبي - طبعة دار إحياء التراث العربي .
- ترتيب القاموس المحيط، للزاوي - طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني - طبعة دار الرشيد .
- تنزية الشريعة، لابن عراق الكنائني - طبعة دار الكتب العلمية .
- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني - طبعة دار صادر .
- الجامع الصغير، للسيوطى - طبعة دار الكتب العلمية .
- جلية الأولياء، لأبي نعيم - طبعة دار الكتاب العربي .
- الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني - طبعة دار الكتب الحديثة .

- الدرر المسترة في الأحاديث المشتهرة للسيوطى - طبعة الدار العربية.
- الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري - طبعة دار الكتاب العربي.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة للألبانى - طبعة المكتب الإسلامي.
- سنن ابن ماجة - تحقيق فؤاد عبد الباقي طبعة فؤاد عبد الباقي - طبعة المكتبة العلمية
- سنن أبي داود، تحقيق الدعاس وعادل السيد - طبعة دار الحديث - بيروت.
- سنن الترمذى - تحقيق أحمد شاكر - طبعة مكتبة مصطفى البابى الحلى وشركاه.
- سنن الدارمى - طبعة دار الكتب العلمية.
- سنن النسائي - الطبعة الأولى المفهرسة - اعتماء عبد الفتاح أبو غدة.
- شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي - طبعة منشورات دار الآفاق الجديدة. شرح الألسنة، للإمام البغوى - طبعة المكتب الإسلامي.
- صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة دار الفكر.
- صفة الصفو، لابن الجوزي - طبعة دار المعرفة.
- طبقات الحفاظ، للسيوطى - طبعة دار الكتب العلمية.
- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن هداية الله الحسيني - طبعة دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمى - طبعة دار الكتاب النفيس.
- العبر، للإمام الذهبي - تحقيق أبي هاجر محمد - طبعة دار الكتب العلمية.
- عنوان الدرایة فیمن عرف من العلماء فی المائة السابعة بیجاية - طبعة دار الآفاق الجديدة.
- عوارف المعارف، للسهروري - طبعة دار الكتاب العربي.
- غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، للشيخ محمد السفاريني - طبعة مطبعة الحكومة بمكة.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للعسقلاني - طبعة دار المعرفة .
- فتح الرباني ، للساعاتي - طبعة دار إحياء التراث العربي .
- فوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر الكتبني - طبعة دار صادر .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، للعجلوني - طبعة مؤسسة الرسالة .
- كشف الظنون ، لحاجي خليفة - طبعة دار الفكر .
- كذا العمال للهندى - طبعة مؤسسة الرسالة .
- لسان العرب ، لابن منظور - طبعة دار صادر .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي - طبعة دار الكتاب العربي .
- مجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد
- مختار الصحاح ، للرازي - طبعة دار الكتب العلمية .
- مختصر سنن أبي داود ، للمنذري - طبعة دار المعرفة .
- مختصر طبقات الحنابلة ، لابن شطبي - طبعة دار الكتاب العربي .
- المستدرك ، للحاكم - طبعة دار الفكر .
- مسند أبي داود الطیالسي - طبعة دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق .
- مسند الإمام أحمد - طبعة دار صادر .
- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحاله - طبعة دار إحياء التراث العربي .
- المقاصد الحسنة ، للسخاوي - طبعة دار الهجرة .
- الموطأ ، للإمام مالك - طبعة دار إحياء التراث العربي .
- ميزان الاعتلال في نقد الرجال ، للذهبي - طبعة دار المعرفة .
- وفيات الأعيان ، لابن خلkan - طبعة دار الثقافة - بيروت .

٤ - فهرس الموضوعات

الموضوع		رقم الصفحة
المقدمة	5
ترجمة ابن تيمية	7
صفة سماع الصالحين	9
أمرُ الله تعالى بهذا السماع	10
ذم المعرضين عن السماع المشروع	11
اجتماع الرسول وصحابته على السماع المشروع	11
سماع الصالحين سبيلاً للهداية	13
الأثار الإيمانية لسماع الصالح	14
صور الاستماع الممنوعة والمشروعة	17
هل يُتَّخِذُ السماع طريقاً إلى الله؟	20
عدم اجتماع أحد في القرون المفضلة على سماع المكاء والتصدية	21
إنكار الأئمة لسماع المكاء والتصدية	22
ذكر بعض من رغب في هذا السماع ودعا إليه	23
ابتعاد الحنفاء عن السماع المحرم	25
وهم البعض في حضور السماع المحرم	26
وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة	26

الموضوع	رقم الصفحة
أضرار ومقاصد سماع المكاء والتصدية	٢٧
آراء الأئمة في الغناء وألات اللهو	٣٠
حال كتب الزهد والرقائق وبعض الآثار	٣٢
ذكر بعض الحكايات الباطلة	٣٥
وجوب التمييز بين الصحيح والضعيف في المنشولات	٣٦
جماع ذلك الموافقة لكتاب والسنة وما عليه الصحابة	٣٧
لا دين إلا ما شرعه الله	٣٨
السماع الذي أمر الله ورسوله به وأثاره	٤١
آثار هذا السماع في الصحابة	٤٥
السماع المحدث بدعة	٤٦
حكم من حضر السماع من المشائخ الصالحين وما اشترطوا له	٤٧
الحكمة في عدم شرعية السماع المحدث	٤٧
وجوب الاقتداء بالكتاب والسنة في كل شيء	٤٩
بين سماع المسلمين وسماع المشركين	٥٠
غلط من ظن أن النبي والصحابة والتابعين حضروا سماع المكاء والتصدية	٥٢
حكم الرقص	٥٢
عبادة المسلمين الركوع والسجود	٥٣
حث الفضيل على الإخلاص واتباع السنة	٥٣
سؤال عن حكم من يحلل السماع لنفسه ويحرمه على غيره	٥٥
الإجابة	٥٥
لا يجوز السجود لغير الله	٥٦
سؤال	٥٧
الإجابة	٥٧

الموضوع	رقم الصفحة
أصناف من يزعمون أن الله يخاطبهم	٥٧
الصنف الأول	٥٨
الصنف الثاني	٥٨
الصنف الثالث	٥٨
حكم من ادعى أن له طريقاً يوصله رضوان الله غير الشريعة	٥٩
الذين يظهرون الإشارات ليسوا من أولياء الله	٥٩
سؤال عن أكل الخبائث والحيات والعقارب	٦٠
الإجابة	٦٠
ذكر المخاريق التي يفعلها المبتدعون ووجوب الحذر منها	٦٠
عبادة الله بالطرق الشرعية	٦٢
الرياء يبطل العمل	٦٣
الاتباع شرط في صحة العبادات	٦٤
حكم تارك الجمعة والجماعة	٦٦
فضل صلاة الجمعة	٦٨
وجوب الابتعاد عن البدع	٦٨
الدين كله لله	٦٨
أصل الإسلام	٧٠
كيفية التقرب إلى الله	٧٠
حكم الدعوة بالسماع	٧١
إكمال الله للدين	٧٢
وجوب الرد عند النزاع إلى ما بعث به الرسول	٧٢
الاعتصام بالكتاب والسنّة	٧٣
كل ما لم يشرعه الله ضرورة أكبر من نفعه	٧٥

الموضوع	رقم الصفحة
جهل الداعي وعجزه عن الطرق الشرعية التي تتوب بها العصاة	٧٦
توبه الكثيرين بالطرق الشرعية	٧٦
هدي الله العباد بالسماع الشرعي	٧٧
فضل السماع الشرعي وأهله	٧٨
كره الأئمة ومشايخ الصوفية للسماع المحدث	٨٠
سماع المتقربيين وسماع غيرهم	٨١
الأعمال والعبادات ةالنیات	٨٢
حقيقة القرب والطاعات	٨٤
الفهرس	
فهرس الآيات القرآنية	٨٦
فهرس الأحاديث والأثار	٩١
فهرس المصادر والمراجع	٩٤
فهرس الموضوعات	٩٧